ميثاق الرابطة

لسان رابطة علماء المغرب

أسبوعية جامعة تصدر كل جمعة - الثمن : 3 دراهم

السنة 39 - العدد 1106 - الجمعة 30 محرم 1426 هـ - الموافق 11 مارس 2005

ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن

صدق الله العظيم

وجوب العدل بين الأبناء

عالمات جليلات اشتهرن بالفقه

في بيان مايفسد الدنيا والدين

في المنظور المتجدد للتربية الإسلامية

التوجيهات الإسلامية في الحجة النبوية

-10-

في الأعداد السابقة تحدثنا بتفصيل عن الحج انطلاقا من مرحلة الإحرام وهي الحالة الأولى التي ينضبط معها الحاج، ورأينا مكانه وزمانه. وبعد الدخول إلى مكة وإلى البيت الحرام يقوم الحاج بأداء طواف قد يكون طواف القدوم أو طواف العمرة أو طوافا مشتركا بين الحج والعمرة لمن يجمعهما في عمل واحد. وبعد الطواف يمكن للإنسان أن يسعى بين الصفا والمروة وذلك عندما يكون قارنا للحج مع العمرة. أو معتمرا فقط وانصب بالتمتع والأمر مرتبط أولا بالقصد والنية. فإذا كان وقت الصعود إلى عرفات مازال بعيدا فالحاج له الاختيار عند الإحرام أن ينوي أحد الأنساك الثلاثة.

النسك الأول: العمرة، وفي هذه الحالة بمجرد ما يؤدي طواف العمرة والسعي تنتهي أعمال العمرة ويعود الإنسان إلى حالته العادية، لأن العمرة ليس لها من الفروض إلا ثلاثة أشياء: الإحرام، والطواف، والسعي بين الصفا والمروة.

النسك الثاني: الحج وحده، ويسمى مفردا وعليه في هذه الحالة أن يقوم بأداء طواف القدوم بمجرد وصوله لمكة المكرمة، وله حق الاختيار لأداء السعي بعده مباشرة بين الصفا والمروة، وعندئذ يكون أحرم وسعى وبذلك أدى ركنين من أركان الحج وبعد السعي يبقى على إحرامه إلى حين الصعود لمنى وعرفات. وبعد النزول من عرفات ورمي الجمرات بمنى في اليوم الأول وهو يوم النحر، له الاختيار في النزول إلى مكة لأداء طواف الإفاضة أو البقاء بمنى إلى حين الانتهاء من رمي الجمرات كلها في ثاني يوم العيد أو في ثالثه إذا لم يكن متعجلا. وفي جميع الأحوال فإن طواف الإفاضة به تنتهي أركان الحج ويتحلل الإنسان ولا يبقى ممنوعا عليه شيئ مما يتنافى وأعمال الحج.

النسك الثالث: الحج والعمرة معا، وهو المسمى بالقران فيجمعهما في نيته وفي فعله. وعلى الحاج أن يشرع بمجرد دخوله للبيت الحرام بالطواف وهو للقدوم والعمرة. وينتقل إلى السعي بين الصفا والمروة إذا شاء لأداء السعي للحج والعمرة. وبعد الوقوف بعرفات والنزول لرمي الجمرات يبقى عليه طواف الإفاضة فيؤديه الصعود لمنى وعرفات. وبعد الوقوف بعرفات والنزول لرمي الجمرات يبقى عليه طواف الإفاضة فيؤديه يوم النحر أو بعد الانتهاء من رمي الجمرات أيام العيد، حسب اختياره ويكون بعد رمي جمرة يوم العيد قد دخل في حالة التحلل الأصغر بعد الحلق أو التقصير. فإذا اختار البقاء في منى إلى يوم الثاني عشر أو الثالث عشر فعليه القيام بطواف الإفاضة عند النزول إلى مكة. وبه تنتهي أعمال الحج.

وهذه الأمور التي ذكرناها لأنواع النسك تجمع الرجل والمرأة معا. والذي يبقى من الأعمال الواجبة هو طواف الوداع عند مغادرة مكة المكرمة سواء إلى المدينة المنورة أو إلى جدة للرجوع لبلده.

وبهذا التلخيص نكون تعرفنا على أفعال النسك بالحج وهي تنقسم في ذاتها إلى ثلاثة أقسام

I- أركان، أي أعمال أساسية، لاتعوض بغيرها وهي: الإحرام، والسعي، والطواف، والوقوف بعرفات، فإذا ترك الحاج واحدا منها اعتبر حجه فاسدا ولايعوض بشيء.

II- واجبات، وهي الأعمال التي تعوض بهدي عند تركها، وقد حدد علماء المذهب هذه الواجبات فيما يلي:

1) الالتزام بالميقات المكاني للإحرام، فإذ أحرم الحاج بعد مجاوزة الميقات اعتبر مخلا بالواجب وعليه هدي تعويضا على المخالفة، إلا إذا فضل الرجوع إلى الميقات وألغى إحرامه الأول وشرع فيه من جديد ففي هذه الحالة يعتبر دخوله في الإحرام متوفرا على الشروط كلها.

2) ترك المبيت بصفة كاملة ليلة أعمال الحج، فإن ذلك يعتبر إخلالا بواجب ينجبر بالدم.

3) ترك ركعتي الطواف، حتى يخرج من مكة، إذ من تمام الطواف صلاة ركعتين خلف مقام إبراهيم.

4) ترك رمي الجمرات كلها أو بعضها حتى مضت أيام الرمي التي تنتهي يوم الثالث عشر من ذي الحجة.

تتمة في الصفحة 2

دين الإسلام يحرم الظلم

بالعدل قامت السماوات والأراضون كما قيل، ومن المعلوم أنه لا يمكن لأمة أن تنال مكانتها بين الامم والشعوب، إلا إذا كان العدل هو سيد الموقف، والمشروعية هي التي تنير الطريق لأفراد تلك الأمة، ليسلكوها آمنين مطمئنين.

فعن أبي ذر رضي الله عنه في ما روى عن النبي (ص) في ما روى عن الله تبارك وتعالى، أنه قال "يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما، فلا تظالموا إلى آخر الحديث القدسي الذي رواه الإمام البخاري مطولا.

فظاهرة الظلم تجلب عدم الاستقرار وسفك الدماء، وزهق الأرواح، وسلب أموال الناس وإدخال الذعر والهلع في قلوب الساكنة...

فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله (ص) قال: "اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح فإن الشح أهلك من قبلكم، حملهم أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم".

لقد نادى الإسلام بالدفاع عن حقوق الانسان، وحذر من انتهاك حرمته وبين مكانته وأظهر أن كل فرد فرد، له حق وعليه واجب، فعن أبي شريح الخزاعي، أن النبي (ص) قال: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليسكت).

هذا التوجيه الرحماني الذي جاء به سيد الأولين والآخرين، يكمن في طياته احترام الإنسان لأخيه الإنسان، كما يتجلى فيه سمو المكارم الأخلاقية من تكافل اجتماعي ومراعات للحقوق والواجبات بين أفراد البشرية بصفة شمولية.

ومن تقدير الإسلام للمعاهد الذي ليس على دين الإسلام كيف ما كان معتقده، ما جاء في الحديث الذي يوجد في صحيح البخاري، مبوبا على إثم من قتل معاهدا بغير جرم، قال بعد أن ذكر سند الحديث أنه (ص) قال: "من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عاما".

إن المنهاج الإسلامي الرباني الرحماني الإنساني، واضح وظاهر ظهور الشمس، رابعة النهار.

فعلى من يجهله أو يتجاهله، أن يراجع ما جاء في الكتاب والسنة النبوية الصحيحة ليعلم علم اليقين أنه صلى الله عليه وسلم، جاء برسالة رحمة للعالمين، تجمع ولا تفرق، وتبشر ولا تنفر، وتحذر من الخلال الذميمة والنعوت السقيمة.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في صحيح البخاري: (أربع خلال من كن فيه كان منافقا خالصا، من إذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها).

عباد الله علينا أن نعلم حقيقة الإسلام ونعلمها أجيالنا الصاعدة، ونعرف بحقيقته النقية الإنسانية السلمية الكونية، من لا يعرف حقيقته، أو من شوهت له صورة الإسلام الجميلة التي تتجاوب مع الفطرة وتحميها من كل دنس وتنقيها من كل ضرر، إنها رسالة المحبة والصفاء والود والإخاء بين أبناء البشرية.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله (ص) قال: (لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه).

وفي الأثر من أعان ظالما على مظلوم، سلطه الله عليه، وفي الأثر كذلك من مشى مع ظالم فقد أجرم، والله تعالى يقول: ﴿**إنا من المجرمين منتقمون**﴾، وفي كتابه تعالى: ﴿**إنما بغيكم على أنفسكم**﴾ سورة: يونس، الآية: 23.

فلنترك للإنسان حرمته ولنبتعد عن مواطن الظلم ونحكم التوجيه الرباني الإسلامي في نفوسنا.

ومن أعظم الظلم القتل بغير حق، وفي الأثر: الإثم متعلق بالقتل العمد، قال الله تعالى: ﴿**ومن قتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما**﴾ سورة: النساء، الآية: 93.

وكم من آية كريمة وحديث نبوي شريف صحيح حذر من الظلم، قال الله تبارك وتعالى: ﴿**وكذلك أخذ ربك إذ أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد**﴾ سورة: هود، الآية:102، وقال تعالى: ﴿**ومن يظلم منكم نذقه عذابا كبيرا**﴾، سورة:الفرقان، الآية:19.

وقال جل وعلا: ﴿**لا تظلمون ولا تظلمون**﴾ سورة: البقرة، الآية:278.

قال صلى الله عليه وسلم: "اتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب". حديث متفق عليه.

يتبين مما أسلفنا ذكره أن ديننا الإسلامي يحرم الظلم ويمنعه منعا باتا على المؤمن المتشبث بقيم الإسلام، المطبق لما جاء به نبي الرحمة.

وفقنا الله لما يرضيه وسلك بنا سبيل من يتقيه، إنه سميع مجيب.

بقلم الشيخ ماء العينين لارباس

تحتوي هذه الصحيفة على آيات قرآنية وأحاديث نبوية، المرجو صيانتها عن أي امتهان

عالمات جليلات اشتهرن بالفقه والتضلع فيه

■ إعداد الأستاذ:
عبد القادر العافية

■ كان الإمام مالك رحمه الله معروفا بالسهر على تعليم ابنته فاطمة، وكانت تتولى إدخال الناس عليه، وأغلبهم من طلبة العلم ورواة الحديث، وكان مالك يعتمد عليها في مساعدته فيما يريده من قراءة أو كتابة، وتقوم بتنظيم مواعده وإخباره بمن يريد لقاءه من تلامذته ومريديه..

وأخذت عن والدها الحديث والفقه ومايتعلق بهما من العلوم الشرعية، ومعرفة الرواة من التابعين والصحابة، والسيرة النبوية، وذكرها القاضي عياض رحمه الله ضمن العلماء والأئمة الذين أخذوا الموطا عن مالك، وروى عنها وهو يتحدث عن مناقبه أنها قالت: كان مالك يصلي كل ليلة حزبه من القرآن، فإذا كانت ليلة الجمعة أحياها كلها" وعرفت عند تلامذة والدها بالذكاء والأدب والأخلاق العالية، وبذلك كان الإمام مالك قدوة لتلامذته والآخذين عنه في تربية بناتهم، وتعليمهن، نذكر منهم على سبيل المثال: العلامة القائد البطل أسد بن الفرات، أحد المتأثرين بالإمام مالك، وأحد رواة الموطأ، الذي اعتنى بتربية ابنته "أسماء" واعتنى بتنشئتها نشأة علمية كإمامه مالك، ومن حظها أن والدها الإمام أسد بن الفرات لم يكن له أولاد سواها، فتعلمت منه، ونشأت بين يديه، فأحسن تهذيبها وتثقيفها، وكان لها ذهن وقاد، جعلها تستوعب عن أبيها علما وحكمة، وكانت تحضر مجالس والدها العلمية بمنزله، وتشارك الطلبة في السؤال والحوار، حتى اشتهرت بالفضيلة ورواية الحديث والفقه، وتضلعت في الفقه الحنفي، لأن والدها أخذ عن الإمامين: مالك، وأبي يوسف صاحب أبي حنيفة، وعن محمد بن الحسن الشيباني، تلميذ الإمام مالك، ولما تقلد والدها أسد بن الفرات إمارة الجيش المتوجه لفتح جزيرة صقلية على عهد الأمير زيادة الله بن ابراهيم بن الأغلب، خرجت أسماء لتوديع أبيها الذي كان محاطا بجموع غفيرة وقد نشرت البنود والألوية، وضربت الطبول وصدحت الأبواق، ووصلت مع المودعين إلى مدينة سوسة، وشاهدت الجنود وهم يركبون الأساطيل البحرية، وبقيت مع والدها إلى أن غادرت السفن المرسى، والجنود ينادون: الله أكبر، باسم الله مجراها ومرساها.

ودعها والدها الأمير القاضي ابن الفرات وداعا حارا وهو في طريقه إلى الجهاد في سبيل الله، لايدري هل سيلتقي بها مرة أخرى أم لا؟

وتكللت قيادته بالنصر والفتح المبين، ودخل جزيرة صقلية، وفتح حصونها، وبعد ذلك أراد الله له الشهادة وهو يحاصر مدينة سرقوسة والسيف بيده اليمنى، واللواء باليد الأخرى، وهو يردد: إذا جاء نصر الله والفتح، وذلك سنة 213هـ.

وصل خبر استشهاد أسد بن الفرات، وحزنت أسماء العالمة على فراقه، وتزوجت بعد ذلك بالقاضي محمد بن أبي الجواد، وهو أحد تلامذة والدها الذي تولى منصب القضاء بعده، وتعرض زوجها لمحنة، كانت له فيها نعم المساند والمآزر، ثم انكشفت الغمة وعاد زوجها إلى القضاء والمشيخة مرة ثانية، وظلت أسماء الفقيهة الأسدية معظمة معززة عند الخاص والعام إلى أن توفيت رحمها الله سنة 250 هـ، وبعد سبعة وثلاثين عاما من موت أبيها الإمام البطل المجاهد أسد بن الفرات.

أما الفقيهة الثالثة التي اقتفى والدها بالإمام مالك في تربية ابنته وتعليمها فهي: خديجة بنت الإمام عبد السلام سحنون أبو سعيد بن سعيد، إمام القيروان الشهير، والذائع الصيت، ترجم له القاضي عياض بترتيب المدارك ترجمة حافلة كما ترجم لابن الفرات السالف الذكر، قال عنه: كان سحنون ثقة حافظا للعلم، فقيها في الدين اجتمعت فيه خلال قلما اجتمعت في غيره: فهو الفقيه البارع، والورع الصادق، مع الصرامة في الحق والزهادة في الدنيا... مناقبه كثيرة، وهو حامل لواء المذهب المالكي بالغرب الإسلامي، وولده محمد بن سحنون من كبار علماء المسلمين في عصره، وكانت ابنته خديجة التي اعتنى بتعليمها وتربيتها تتصف بالعقل الراجح، والعلم والحكمة، مع متانة في الخلق والدين، وكان والدها الإمام يقدر مواهبها وخصالها، ويحبها حبا شديدا، وكان يلجأ إليها ليأخذ برايها في الملمات، والمهمات، ويستشيرها، وكان أخوها العلامة المبرز يثق في رجاحة عقلها، ويستشيرها كما كان يفعل والده، قال القاضي عياض: لما قبل سحنون ولاية القضاء سار حتى دخل على ابنته خديجة، وكانت من خيار النساء فقال لها: "اليوم ذبح أبوك بغير سكين، فعلم الناس قبوله للقضاء" وشجعته ابنته خديجة على القيام بهذه المهمة.

وخديجة هذه بنت سحنون كان نساء زمانها يستفتينها في مسائل الدين، ويقتدين بها في معضلات الأمور، لما منحها الله من كمال العقل، وسلامة الإدراك.

وذكر القاضي عياض بالمدارك في ترجمة أبي جعفر أحمد بن لبدة ابن أخي الإمام سحنون قال: قال الأبياني: كانت خديجة بنت سحنون من أحسن النساء، وأعقلهن، فذكر لي أبو داود العطار: أن أحمد بن لبدة ابن عم خديجة بنت سحنون، أرسله لوالدها يخطبها منه، قال: فذكرت ذلك له، فقال: هممت بذلك، فأباه محمد. أي ابن سحنون. ولا أصنع مالا يحبه، أي أن سحنون استشار ولده في خطبة خديجة من طرف ابن عمها أحمد، فسكت أخوها ولم يتحمس لإتمام هذه الخطبة، وانتظر الخاطب، إلى أن توفي والدها، وبعد ذلك بعث يخطبها من أخيها محمد بن سحنون، فقال كيف أصنع مالم يصنع أبي؟ فسكت ابن عمها إلى أن توفي أخوها محمد فأرسل أبا داود العطار ليكلمها في الموضوع، يقول: فقالت لي: لم يصنعه أبي وأخي أنا أصنعه؟! لا أفعل، فماتت وهي بكر رحمها الله.

ولعل الذي منع خديجة من الزواج بابن عمها العالم المفتي، الحياء والحشمة، لأنها كانت تعتبره مثل أخيها، لأنه كان لايفارق والدها، كما ذكر ذلك أبو بكر المالكي في (رياض النفوس) وفي نفس الوقت احترمت سكوت أبيها عن إجابة طلبه، وسكوت أخيها كذلك، ويبدو أن انشغالها بالعلم صرفها عن الزواج، وقد وجدت فيه لذتها، ومايملأ وقتها، واشتغلت كذلك بالعبادة والذكر والصلاة، إلى أن توفيت رحمها الله سنة 270هـ ودفنت قرب قبر أبيها وأخيها بمقبرتهم المشهورة بهم، خارج مدينة القيروان، وخلفت ذكرا طيبا بين تلامذة أبيها وهم كثيرون، وبين أهل القيروان، وبين أهل تونس عموما.

أما ابن عمها الذي خطبها ثلاث مرات فتوفي قبلها سنة 261هـ. رحمه الله، وقد ترجمت له كتب طبقات المالكية، لأنه كان من المشهورين بالعلم والأخذ عن سحنون.

(تتمة ص1)

5) ترك المبيت بمنى ليلة كاملة بدون عذر مشروع، فإنه يجبر بالدم كذلك.

6) ترك الحلق أو التقصير حتى يعود الحاج إلى بلده، فإن ذلك موجب للهدي.

7) تأخير طواف الإفاضة إلى مابعد خروج الأشهر الحرم، يعني فوات شهر ذي الحجة ودخول شهر المحرم.

8) ترك السعي إلى مابعد دخول الشهر الموالي لأشهر الحج.

9) ترك البدء عند الطواف بالحجر الأسود، والانتهاء من الطواف بمكان البدء به،فإن ألغى الجزء الزائد اعتبر طوافه كاملا.

10) الخروج من عرفات قبل الغروب، لأن تمام الوقوف يكون بعد التحقق من غروب الشمس.

11) التفريق بين الطواف والسعي بزمن طويل، فإن ذلك يعتبر مخلا بالارتباط بينهما وبالتالي عليه دم، ومعلوم أن كل سعي يجب أن يسبقه طواف.

12) إيقاع السعي بعد طواف غير واجب، فمن كان قارنا أو مفردا وطاف طواف القدوم وفكر في تأخير السعي إلى مابعد طواف الإفاضة، ثم دخل الكعبة وطاف طواف النافلة، وقرر إجراء سعي الركن، فإنه يكون غير محترم لشروط السعي وعليه دم.

13) التفريق بين أشواط السعي بزمن طويل، لأن الموالاة بينها هي التي تعطي للنسك صفة الكمال.

١١١. ممنوعات الإحرام:

والإحرام بالحج أو العمرة يمنع من ستة أشياء:

1) التعرض للحيوان البري، له ولأفراخه وبيضه، بطرد أو جرح أو رمي أو إفزاع، إلا ستة انواع من الحيوانات فإنها تقتل في الحل والحرم وهي: الفأر والعقرب، والحدأ، والغراب والكلب العقور، والحية، فهذه الستة لاجزاء في التعرض لها.

2) اللباس، وهو ستر محل الإحرام للرجل، وهو الوجه، والرأس، وسائر البدن زيادة على لباس الإحرام.

3) الأمر الثالث الذي يمنعه الإحرام: هو استعمال الطيب كالمسك والعنبر والعود.

4) الممنوع الرابع: استعمال الدهن للراس أو اللحية أو لأي جزء من البدن.

5) الممنوع الخامس: قتل القمل أو طرحه أو إزالة الوسخ أو تقليم الأظفار أو إزالة الشعر.

6) الممنوع السادس: قرب النساء أو عقد النكاح والزواج.

وهذه الممنوعات منها مايستمر إلى ما بعد طواف الإفاضة ومنها مايتوقف أثره لمجرد رمي الجمرة الكبرى وهو مايسمى بالتحلل الأصغر، وهذه الممنوعات جمعها الناظم سيدي عبد الواحد بن عاشر في الأبيات الآتية:

ومنع الإحرام صيد البر ... في قتله الجزاء لا كالفار
وعقرب مع الحدا،كلب عقور ... وحية، مع الغراب إذ يجوز
ومنع المحيط بالعضو ولو ... بنسج أو عقد ، كخاتم حكوا
والستر للوجه ، أو الرأس بما ... يعد ساترا، ولكن إنما
يمنع الأنثى: لبس قفاز كذا ... ستر لوجه، لا لستر أخذا
ومنع الطيب، ودهنا، وضرر ... قمل وإلقا وسخ، ظفر شعر
ويفتدى لفعل بعض ماذكر ... من المحيط لهنا ، وإن عذر.
ومنع النسا، وأفسد الجماع ... إلى الإفاضة ويبقى الامتناع
كالصيد ثم باقي ما قد منعا ... بالجمرة الأولى يحل فاسمعا وإلى عدد قادم إن شاء الله.

الوثاق

صرف الهمة إلى تحقيق معنى الذمة

للعلامة
محمد بن
أحمد
المسناوي

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم.

يقول مقيده وجامعه العبد الفقير إلى رحمة مولاه
الغني محمد بن أحمد ابن المسناوي كان الله له آمين.

***

الله احمد على ما أنعم، وإياه أشكر شكرا يوفي بما تقرر في الذمم، وأصلي وأسلم على سيدنا محمد نبيه الأعظم، قياما بما أمر به ربنا من تعظيمه والزم، وبعد:

الأستاذ،
إدريس
كرم

الحلقة الثانية

الصلاة تتعلق بالذمة كالصوم والزكاة،

فتأمله فإنه لم يظهر لي كما أحب معناه، وقد بحث في التقييد بشمول اليزناسني بما يقوله العلماء، من أن الصلاة تتعلق بالذمة وكذلك الصوم والزكاة، وكل ذلك ليس بمشمول، قال فعلى هذا حد ابن عبد السلام لها أولى هـ، وهو بحث متبادر متجه في الظاهر، غير أن في كلامه مناقشة من وجهين.

***

أحدهما ما في قوله من الزكاة وكل السهو، لأن الزكاة من المشمول، فلا تخرج من الحد حتى يعترض بها، ولعله أراد أن يقول والحج، فسبقه القلم.

***

ثانيهما تخصيصه الاعتراض بحد ابن عرفة، وقوله أن حد ابن عبد السلام أولى، أي لسلامته من ذلك فيه، أن يقال أن قول ابن عبد السلام، فيقدر المبيع الخ بعد الحد الأول، وقوله الذي يحوي الخ في الحد الثاني.

***

وتقدم أنهما في الحقيقة حد واحد، بمنزلة قول ابن عرفة متمول، فيرد عليه، ما ورد عليه ففي التخصيص، وادعاء الأولوية من هذه الجهة نظر، وكأنه راعى صدر كلام ابن عبد السلام الظاهر في التعريف، دون ما بعده، مما هو ظاهر بالنظر إلى اللفظ في الشرح والبيان، للحد دون التتمة والتكميل له، وإن كان الظاهر من جهة المعنى، أن مجموع الكلام مسوق للتعريف، وإن لم يكن على طريقة أهل الميزان، اتكالا على فهم المعنى، وجريا على عادة غالب الفقهاء في عدم التزام ذلك القانون في تعاريفهم، إلا من غلب عليه ذلك الفن، كابن عرفة قلت، والبحث المذكور للشيخ السنوسي أيضا في كتابه الذي ذكرنا قبل هذا، وإن لم ينسبه إليه اليزناسني كما لم ينسب إليه الأول، ونصه بعد ذكر حد ابن عرفة، وما قاله الأبي فيه الأظهر، أن الذمة ليست ما ذكر، بدليل إطلاقهم الذمة في العبادات، فيقولون ترتيب هذه العبادة في ذمته، فالحق ما قاله ابن عبد السلام هـ بالمعنى، وهو سالم من أول الوجهين المذكورين في مناقشة اليزناسني كما رأيت.

***

وقد يجاب عن أصل البحث بأحد أمرين.

الأول ادعاء المجاز العرفي في قول العلماء المذكور، بتشبيه العبادة التي هي حق الله على المكلف بالمتمول الذي في الذمة، بجامع مطلوبية المكلف بكل منهما.

***

الثاني ان المقصود بالتعريف إنما هو ذمة المعاملة فقط، لا ما يطلق عليه ذمة في لسان أهل الشرع مطلقا، بدليل أن التعرض لتعريفه أو الكلام عليها، إنما وقع في باب السلم من أبواب المعاملات، فوقع التعريف بها باعتبار ما الكلام فيه، لا لها من حيث هي فتأمل.

***

المتمول هو الذي تعرض له الكلية والجزئية،

وقوله على الظاهر انه بالخفض صفة لمتمول لا بالرفع صفة لملك، خلاف ما يوهمه كلام الرصاع، على ما فيه من الاضطراب، إذ المتمول هو الذي تعرض له الكلية والجزئية أولا، وبالذات، فيحتاج إلى تقييده بذلك، وأما الملك فهو من الأمور الكلية الاعتبارية، فلا يوصف بالجزئية الحقيقية، إلا بالشبع لمتعلقه توسعا، والحمل على الحقيقة ما أمكن أولى، ولا سيما في التعاريف، وينبغي على كون ما تقرر في الذمة كليا لا جزئيا، أمور منها، أن مصيبة ما في الذمة من المدين حتى يقبضه صاحبه، قال القاضي أبو عثمان العقباني في مناظراته مع القباب المسماة "بلباب اللباب" الدين يتعلق بالذمة والغصب يتعلق بعين الشيء المغصوب، ولا مزاحمة بينهما، ولذلك لم يقل أحد أن من عليه دين يبرأ بغصب الغاصب له، ولو صرح الغاصب بأن يقول إنما غصبت ذلك الدين، بل ينصرف الغصب إلى عين ما غصب، ويبقى الدين في الذمة هـ.

***

وهو موافق لما ذكره القرافي وبسطه في الفرق السابع والثمانين، وسلمه ابن الشاط، وأشار إليه أيضا في الفرق التاسع والثمانين والمائة، واختصره المقري في القاعدة الثامنة والعشرين من كتاب الصلاة، من أن المعين لا يكون في الذمة، وأن ما في الذمة لا يتعين، وأقام ذلك ابن عرفة في آخر ترجمة الرجوع عن الشهادة من مسألة لابن عبد الحكم فقال يقوم منه أي مما ذكره ابن عبد الحكم، أن ما في الذمة لا يتعين بحال وأسن التعرض له بغير الواجب لا يوجب فيه حكما هـ.

***

غير أن ما ذكره العقباني من نفي الخلاف في عدم براءة المدين بغصب الغاصب لما في ذمته من الدين، لعله يعني به الخلاف المنقول عن المتقدمين، وإلا كان قصورا، فإن الخلاف في ذلك موجود بين متأخري فقهاء تونس، كما ذكره ابن عرفة في المحل المذكور، فقال بعد ما سبق ونزلت في أوائل هذا القرن يعني القرن الثامن مسألة هي أن رجلا له دين على رجل فعدى السلطان على رب الدين، فأخذه من غريمه، ثم تمكن رب الدين من طلب المدين بدينه، فاحتج المدين بجبر السلطان له على أخذه منه من حيث كونه حقا، لرب الدين فأفتى بعض الفقهاء ببراءة المدين "لعله أبا إسحاق "وأفتى غيره بعدم براءته، محتجا بأن ما في الذمة لا يتعين هـ.

***

وأشار إليه الزقاق في قواعده بقوله، هل يتعين الذي في الذمة، انظر المنجور في شرح الزقاق المذكور، وانظر أيضا، جواب صاحب المعيار الذي ذكره آخر نوازل الصلح منه وسماه: "بنظم الدر المنثورة" فإنه قد استطرد فيه الكلام على هذه المسألة، وذكر الخلاف فيه أيضا، كما ذكره قبل ذلك أيضا، في أثناء نوازل المعاوضات، وقوله حاصل أو مقدر بالخفض أيضا صفة لمتمول كما اقتضاه كلام الرصاع، لا بالرفع صفة لملك، لأن الذي يكون تارة بالفعل وتارة بالقوة القسيمة له المرادة بالتقدير، هو المتمول المذكور.

***

وأما الملك الذي هو معنى الذمة فهو وصف حكمي لازم لديها ولذلك يقال فلان ذو ذمة وإن لم يتقرر فيها شيء بالفعل بل بالقبول فقط، وقوله فخرج الخ تقدم أن ذلك خرج بإضافة ملك إلى متمول، ولم أفهم إلى الآن وجه تخصيصه الخروج من الحد، بما أمكن حصوله من ذلك دون ما حصل بالفعل منه، مع أن المتبادر خروج الحاصل من ذلك أيضا، كالمقدر فانظر ذلك، فإني لم أر من تعرض له، ويشهد لما ذكرنا عبارة الأبي، ونصه:

***

وإنما قيد الملك بمتمول ليخرج ملك نكاح امرأة أو انكاح ملكه، إياه فإنه لا يسمى في العرف ذمة هذا ما ظهر لي في شرح هذا الحد، مع عدم الجزم فيه بمصادفة عن المقصد، وكلام الرصاع فيه، جله محلول، وبعضه غير معقول، وإذا فهم المقصود من الحد، فلا علينا فيما يقول، وكم له في شرح الحدود من محلول الكلام وساقطه، كما لا يخفى على ناقده ومخالطه، والله يعلم اني لم أقل هذا هضما، بل لإفادة الطالب علما، وما علي إذا ما قلت معتقدي

دع الجهول يظن الحق عدوانا

ومن العجب ان المنجور اختصر كلام قوله، قال القاضي أبو عثمان العقباني في مناظرته مع القباب الخ، ومن ترجمة القباب المنقولة من خط صاحب المعيار ما نصه، قلت وجرت بينه وبين القاضي أبي عثمان العقباني حين كان أي العقباني قاضيا بسلا أيام السلطان فارس عبد العزيز المريني المتوفى عام 774 مناظرة مفيدة جدا في مسألة قيطون الاعانة، جمعها أبو العباس بن قنفذ القسنطيني الخطيب، وسماها لب اللباب في مناظرة العقباني والقباب، وهي متداولة في تلمسان، ولم أرها في فاس إلا في خزانة البركة أبي مهدي الماواسي هـ، وقد ذكر في المعيار في أثناء نوازل المعاوضات والبيوع منه مراجعة العقباني للقباب ورده لجوابه ولم يذكر كلام القباب مستقلا بل في أثناء مراجعة العقباني منه فقط، ولعله لم يقف عليه مجردا بفاس التي هي محل جمع المعيار، كما يشير إليه قوله في التقييد المذكور، ولم أرها بفاس إلا في خزانة لخ والله أعلم هـ.

***

الرصاع في شرح هذا الحد بأسره، وطوائه مع ما فيه على غرر، ولم يميز حصباءه من درر، مع ما علم من ثقوب فهمه، وجودة فكره، ولعل عذره أن شرح الحد المذكور لم يكن مقصودا بالذات لديه، لعدم توقف ما في كلامه عليه، وإنما ذكره تتميما للمقصود، فاكتفى فيه بكلام شارح الحدود، ولم يتعرض لما فيه من السقام لعدم أهمية ذلك، باعتبار المقام، مع إيثار غرض الاختصار الذي هو من عادته، والاقتصار على ذكر كلام الغير دون ما هو من زيادته،

تتمة:

تعلق الدين بالذمة أعم وأخص،

قال ابن عرفة في باب الحجر وتعلق الدين بالذمة أعم وأخص، فالأعم تعلقه بها باعتبار صلاحية اقتضائه منها، والأخص تعلقه بها باعتبار اقتضائه، فقول ابن الحاجب ويتعلق دينه بما في يده ثم بذمته هو بالمعنى الأخص، وقولها كل ما صار بيده المأذون بالطوع من معطيه من دين أو وديعة، فاستهلكه فذلك في ذمته، لا في رقبته هو بالمعنى الأعم هـ، ونقله المشدالي في حاشية ابن الحاجب عند قوله المذكور، في الباب المذكور ونقله أيضا ابن غازي في تكميل التقييد، عند نص المدونة المذكور في كتاب المأذون له في التجارة.

***

المقصد الثاني في تلخيص لم للشهاب القرافي وابن الشاط في ذلك الفرق المذكور، مع ذكر ما يظهر من البحث معهما في بعض الأمور، وفيه اربع مسائل:

***

المسألة الأولى في تعريفها للذمة، أما القرافي فقد عرفها بما سبق بعد أن قال، إنها قد أشكلت معرفتها على كثير من الفقهاء، وأن جماعة يعتقدون أنها أهلية المعاملة، فإذا قلنا زيد له ذمة فمعناه أنه أهل لأن يعامل، ورد ذلك بما سيأتي إن شاء الله من أنهما حقيقتان متغايرتان بينهما العموم والخصوص من وجه،

***

فقوله فيه شرعي، معناه أنه إنما استفيد من الشرع، إذ هو المثبت والمقدر له، فهو نظير قول ابن عرفة في تعريف بعض الحقائق الشرعية، كالطهارة والإحرام، والطلاق، والحجر، صفة حكمية أي لا حسية، كالبياض والسواد، ولا عقلية كالعلم والقدرة، بل اعتبارية، حكم بها الشرع وقدر وجودها في المحل، وقيامها به قيام الأوصاف الوجودية.

في ظلال الحديث

الحديث السادس والعشرون والمائة: وجوب العدل بين الأبناء

نص الحديث: عن النعمان بن بشير يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعدلوا بين أولادكم اعدلوا بين أبنائكم رواه أبو داود.

■ إعداد الأستاذ: عبد الله بوغوتة

تخريج الحديث

هذا الحديث أخرجه بهذا اللفظ: أبو داود في سننه: كتاب البيوع، باب في الرجل يفضل بعض ولده في النحل (3544/293/3)، وبنفس السند واللفظ أخرجه النسائي في السنن الكبرى، كتاب النحل، باب ذكر اختلاف ألفاظ الناقلين لخبر النعمان بن بشير (6514/119/4) وأخرجه البخاري بتفصيل، وبسند آخر، في كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها، باب الهبة للولد، ج2 ص913، ومسلم في كتاب الهبات، باب كراهية تفضيل بعض الأولاد في الهبة، وأحمد في مسنده، في أول مسند الكوفيين، حديث النعمان بن بشير (18443/275/4)، وابن حبان في صحيحه (5104/503/11)...

درجة الحديث:

حديث صحيح بألفاظه المختلفة.

سند الحديث: هذا الحديث أخرجه أبو داود في سننه، وقال: حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد عن حاجب بن المفضل بن المهلب عن أبيه قال سمعت النعمان بن بشير... وذكر الحديث وهذه تعريفات موجزة بالرواة:

حدثنا سليمان بن حرب: هو أبو أيوب سليمان بن حرب الحافظ الواشحي الأزدي البصري كان ثقة كثير الحديث وقد ولي قضاء مكة ثم عزل فرجع إلى البصرة فلم يزل بها حتى توفي بها، سمع شعبه والحمادين ومبارك بن فضالة وأبو حاتم والبخاري وأبو داود وأبو خليفة الجمحي وخلق، قال أبو حاتم هو ثقة حافظ للحديث عاقل في نهاية الستر والصيانة، وقال يعقوب بن شيبة كان ثقة ثبتا صاحب حفظ، مات سنة (224).

حدثنا حماد: هو أبو اسماعيل حماد بن زيد بن درهم، الإمام الحافظ المجود، شيخ العراق الأزدي مولاهم البصري الأزرق الضرير، قال ابن مهدي: أئمة الناس في زمانهم أربعة الثوري ومالك والأوزاعي وحماد بن زيد، وقال ابن معين: ليس أحد أثبت من حماد بن زيد، وقال يحيى بن يحيى: ما رأيت شيخا أحفظ منه وقال ابن حنبل: هو من ألمة المسلمين من أهل الدين، كان مولده سنة98هـ، ومات سنة 179هـ رحمه الله تعالى.

عن حاجب بن المفضل بن المهلب: هو حاجب بن المفضل بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي المهلبي البصري، روى عن أبيه، وروى عنه حماد بن زيد. قال يحيى بن معين: ثقة وقال سليمان بن حرب كان عامل عمر ابن عبد العزيز على عمان روى له أبو داود والنسائي حديثا واحدا وذكره ابن حبان في الثقات.

عن أبيه: هو أبو غسان المفضل ابن المهلب بن أبي صفرة الأزدي البصري. روى عن النعمان بن بشير وعنه ابنه حاجب وثابت البناني وجرير بن حازم. ذكره ابن حبان في كتاب الثقات. قتل هو وإخوته بسجستان سنة اثنتين ومائة (102) بعد فرارهم حين مقتل أخيهم في إمارة يزيد بن عبد الملك. روى له أبو داود والنسائي.

قال سمعت النعمان بن بشير: هو أبو عبد الله، النعمان بن بشير بن سعد الأنصاري الخزرجي الكوفي، أول مولود للأنصار بعد مقدم النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، وجيء به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحنكه بالتمر، أبوه صحابي وأمه صحابية رضي الله عنهم. تحمل الحديث وهو صغير ورواه بعد بلوغه و ولي إمارة الكوفة وقضاء دمشق وحمص وكان من أخطب الناس. روى له 114 حديثا وقتل غيلة وله 64 عاما.

أهمية الحديث:

هذا حديث ذو أهمية بالغة، حيث يؤسس للحياة السعيدة، التي قوامها العدل والإنصاف، إن كان بعض الآباء يشكون من عقوق الأبناء، فعليهم بداية ألا يعقوا أبناءهم وذلك بتجنب كل ما من شأنه أن يكون سببا في ذلك، وليحاول الآباء ما أمكنهم أن يكونوا عادلين مع أبنائهم في الهبة والعطاء والحنان والاهتمام...

المعنى العام:

1. تقديم: إن العقوق محرم، ومن أكبر الكبائر، ولذا كان كل مايؤدي إلى العقوق حرام، ومن أعظم أسباب ذلك، عدم العدل بين الأولاد في الهدية والعطية والهبة والصدقة، فالتمييز بين الأولاد والتفريق بينهم في أمور الحياة سبب للعقوق، وسبب لكراهية بعضهم لبعض، ودافع للعداوة بين الأخوة بل ذلك قد يؤدي إلى تعقيد الولد وانحرافه، وتحوله إلى حياة الرذيلة والشقاء والإجرام.

والمفاضلة قد تكون في العطاء، أو في المعاملة، أو في المحبة، أو غير ذلك وكل ذلك مما ذمه الشرع وحرمه ومنعه، لمايسببه من أسباب وخيمة، وعواقب جسيمة.

وكم هي المآسي والأحزان التي تعج بها بعض البيوت نتيجة للظلم والتمييز، والتفريق بين الأبناء، وعدم العدل بينهم، مما تسبب في وجود الكراهية والبغضاء بين الإخوة في البيت الواحد، والسبب هم الآباء، وعدم اتباع الكتاب والسنة في مثل تلك الأمور والمنحدرات الخطيرة التي تودي بالأسرة إلى الهاوية والعياذ بالله.

2. أسباب التفضيل بين الأبناء: عدد من الآباء يفضلون بعض الأبناء على بعضهم لأسباب قد يراها موافقة له على ذلك، والصحيح عكس ما كان يعتقد، فمن تلك الأسباب:

أ. أن يكون الطفل من الجنس غير المرغوب فيه جهلا لكونه أنثى: لقد حث النبي الكريم صلى الله عليه وسلم على العناية بالبنات ورعايتهن أشد رعاية والاهتمام بهن وعدم عضلهن، وأنهن الحجاب من النار إذا أحسنت تربيتهن، فعن أنس ابن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو" وضم أصابعه (رواه مسلم)، أي من رعى بنتين وقام عليهما بالمؤونة والتربية الحسنة جاء مصاحبا لنبي الله صلى الله عليه وسلم، وقال صلى الله عليه وسلم: "من ابتلي، أي اختبر، من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن كن له سترا من النار" (متفق عليه). من هنا ندرك أن إكرام الأولاد عموما والبنات خصوصا مطلوب ومرغب فيه.

ب. أن يكون الإبن قليل الحظ من الجمال أو الذكاء: وهنا نطرح السؤال: ما جريمة الطفل إذا كان قليل الجمال، أو ذميم الخلقة، أو كان قليل الذكاء، أو لم يكن ذا ذكاء فارط، حتى يخترع الصواريخ والمركبات الفضائية، هذه الأمور ليست بيد أحد من الخلق أجمعين، بل بيد الله وحده سبحانه العليم الحكيم، الذي خلق كل شيء بقدر، وبحكمة بالغة لايعلمها إلا هو، وما على الأبوين إلا أن يسويا بين أبنائهما، لأنهما أبناؤهما وفلذات كبدهما...

ج. أن يكون أحدهم محبوبا دون الآخرين لكثرة حركته أو قلة حركته، فهذه كسابقتها، لا يجوز لأحد أن يفرق بين أبنائه في التعامل والعطية والمحبة من أجل مثل ذلك الأمر، فمن كان السكون طبعه فكل الناس يرجو مثل هذا الولد، ومن كان مشاكسا ومشاغبا وكثير الحركة، فالتعليم يجدي فيه، بأن يكتسب الهدوء والسكينة بما يتلقاه من التربية والتعليم من قبل الوالدين، وليس هذا ولن يكون أبدا مسوغا في التفريق بين الأبناء في المعاملة.

د. أن يكون أحدهم معوقا (مصابا بعاهات جسدية ظاهرة)، فهذا بدل التفريق يحتاج إلى الكثير من الحنان والمحبة بها، حتى يخرج من محنته التي هو فيها، والأنكى من ذلك أن تكون هذه العاهات سببا لتسميته بها، فينادى بالأعور أو الأعرج تعريجا، ولا أدري أتعيب الصنعة أم الصانع... هذا أمر محرم بنص الكتاب والسنة، فلقد حرم الإسلام تحريما قطعيا لمز الأنفس والتنابز بالألقاب، وهو دعاء المرء صاحبه بما يكرهه من اسم أو صفة يكرهها.

3. واجب الوالدين نحو الأولاد: فعلى الوالد والوالدة أن يتقيا الله تعالى وأن يعدلا بين أبنائهما في كل أمور حياتهما، ولايفرقا بين أحد منهم، فهم أبناء بطن واحد ورجل واحد، وجاء في الحديث في الأحياء قوله صلى الله عليه وسلم: "رحم الله والدا أعان ولده على بره" والحديث ضعيف ضعفه الألباني والحافظ العراقي، لكن معناه صحيح، فالعدل بين الأولاد من أعظم أسباب الإعانة على البر، وعلى النقيض من ذلك، فالتفريق بين الأولاد من أعظم أسباب العقوق والهجر والكراهية.

جاء في إحياء علوم الدين (295/2): أن يزيد بن معاوية قال: أرسل أبي إلى الأحنف بن قيس، فلما وصل إليه قال له: يا أبا بحر، ماتقول في الولد: قال يا أمير المؤمنين: ثمار قلوبنا، وعماد ظهورنا، ونحن لهم أرض ذليلة، وسماء ظليلة، وبهم نصول على كل جليلة، فإن طلبوا فكعطهم، وإن غضبوا فأرضهم، يمنحوك ودهم، ويحبونك جهدهم، ولاتكن عليهم ثقلا ثقيلا، فيملوا حياتك، ويودوا وفاتك، ويكرهوا قربا، فقال له معاوية: لله أنت يا أحنف، لقد دخلت علي وأنا مملوء غضبا وغيضا على يزيد، فلما خرج الأحنف من عنده، رضي عن يزيد وبعث إلى يزيد بمائتي ألف درهم، ومائتي ثوب.

ولعل هذا النص جامع، يبين لذوي الألباب مكانة الأبناء، ووجوب العدل بينهم، وبذل الحب والحنان إليهم، دون التفريق بين كبير أو صغير، ذكر أو أنثى، فكم من أنثى برت أبويها أفضل من إخوانها الذكور، ولعل الواقع يخبرنا بأمثلة لاتعد على مانقول، فهلا اهتدينا بسيرة وخلق خير الورى، في التعامل مع أبنائنا.

4. أدلة وجوب العدل بين الأبناء:

ولقد جاءت الآيات والأحاديث متضافرة مشهورة معلومة، دالة على وجوب العدل، محذرة من الحيف والظلم والجور، أو التفريق بين الأبناء في الهبات والعطايا، ومن ذلك:

أ. قوله تعالى: "إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون".

وإضافة إلى الحديث الذي نحن بصدده الذي يأمر فيه النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم بالعدل بين الأولاد، وقد أورده البخاري ومسلم وغيرهما مفصلا، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الرجل ليعمل بعمل أهل الخير سبعين سنة، فإذا أوصى وصية حاف في وصيته فيختم له بشر عمله، فيدخل النار، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الشر سبعين سنة، فيعدل في وصيته فيختم له بخير عمله، فيدخل الجنة "قال أبو هريرة: واقرأوا إن شئتم (تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين)" (وأخرجه أبو داود والترمذي وقال: حديث حسن صحيح غريب، وأخرجه ابن ماجة).

5. ظلم الإناث: لقد كانت المرأة في العصور الجاهلية القديمة تعد من سقط المتاع، بل هي من ضمن الميراث، فلا ميراث لها عند أولئك الكفرة الفجرة، أولئك الجهلة الظلمة، إلى أن جاء النور المحمدي الشريف من لدن رب العزة والجلال، فرفعت المرأة رأسها، وأشرفت على الناس أجمعين، شامخة أبية، فقد أنصفها الدين الإسلامي وجعلها مساوية للرجل، إلا فيما فضل الشارع الرجل على المرأة، كالقوامة، وجعل الطلاق بيد الرجل، وجعل شهادة رجل واحد بشهادة امرأتين، ودية المرأة نصف دية الرجل، وهكذا نرى أن الإسلام حفظ للمرأة مكانتها، وصان عرضها وعفافها، فأعطيت جميع الحقوق... وهذه حكمة عظيمة بالغة من لدن حكيم خبير، والمصيبة العظمى، والطامة التي لامثيل لها عندما نجد بعض المسلمين ممن ينتسبون إلى هذا الدين، وهم يغالطون أنفسهم ببعدهم عن خالقهم، وتركهم لسنة نبيهم، وذلك بهضم حقوق المرأة سواء باسم الدين تارة أم باسم الحداثة والتحرر وكلاهما في ضلال مبين، إلا من اتبع رضوان الله وصراطه المستقيم.

فلا حقوق ولا تكريم للمرأة والرجل على السواء إلا في ظل الشرع الحنيف الذي شرعه رب العزة، ورب السموات والأرض، الخبير العليم الذي أحاط بكل شيء علما، ومن تجرأ على رد قطعيات الشرع باسم الدين أو باسم أي شرعية كانت... فقد افترى بهتانا عظيما، وضل ضلالا مبينا والعياذ بالله.

وختما وجب تنبيه كل غافل، فرق بين أبنائه، على أساس السن أو الجنس أو الغنى أوالفقر، أو الشهادة... فنقول لأنفسنا وله لنتق الله في أنفسنا وفي أولادنا، ولنقتد برسول الله سيد الأولين والآخرين، وإمام المتقين، نكن من المتقين، ونعيش السعادة في الدنيا ويوم القيامة نكون من الفائزين إن شاء الله رب العالمين.

الخطبة الأولى

قال الله تعالى : (وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولاتتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) سورة الأنعام/الآية:153 خط رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا ورسم على جوانبه خطوطا وقال: "هذا هو طريق الله وهذه السبل على رأس كل واحد منها شيطان يدعو إليها ثم قرأ الآية".

فطريق الله واحد لاتعدد فيه وطرق الضلالة متعددة لاحصر لها والفرقة ثمرة لاتباع السبل المعوجة.

أما التفرقة: فهي ضد الوحدة والتجمع، وهلاك الأمة بتمزيقها، للحديث:

سالت ربي ثلاثا فاعطاني اثنين ومنعني الثالثة سالت ربي الا يهلك امتي بالسنة الجدب والقحط فاعطانيها وسالته الا يهلك امتي بالغرق فاعطانيها وسالته الا يجعل بأسهم وقوتهم وشدتهم بينهم فمنعنيها".

اهم اسباب الفرقة:

1. بعدنا عن إسلامنا: فقد جرت سنة الله تعالى ان أمم الكفر قد تجتمع على باطلها وتتعاون وتتفق عليه قال تعالى: (والذين كفروا بعضهم اولياء بعض) وان أمة الحق لاتستقيم إلا بالإسلام يقول ابن خلدون رحمه الله: "العرب أمة همجية ولايسوسها ولايهذبها إلا الدين" (وهذا واضح جلي في استحالة اجتماع الأمة على اي أمر أبدا)هـ (لو تأخر الإسلام لأكلت تغلب الناس)

2. إسلامنا يدعونا إلى نبذ العصبية بأبائه فيقول: (إنما المؤمنون إخوة) (إن أكرمكم عند الله أتقاكم). وبأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يقول الله عز وجل في الحديث القدسي: إذا كان يوم القيامة يقول الله تعالى عز وجل: (يابني ادم وضعتم نسبا ووضعت نسبا وضعتم نسبا فقلتم فلان بن فلان ووضعت نسبا فقلت إن أكرمكم عند الله أتقاكم. فاليوم أضع نسبكم وارفع نسبي)الطبراني.

3. امراض القلوب: فليس إسلامنا مجرد مظهر إسلامي من مسواك ولحي بل لابد لذلك من باطن نظيف طاهر من الظلم والحسد والبغضاء والضغينة للحديث: "إن الله لاينظر إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم واعمالكم".

4. الركون إلى الدنيا: وقطع أواصر المحبة والمودة فأمة الحق كانت تعيش كلها بمشاعر واحدة وهم واحد وفرحة واحدة فهي "كالجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى" ولكن حب الدنيا أفقدها معاني سامية كثيرة كالرحمة والرافة والإيثار فعاشت في مادية قاتلة أذهبت بجمالها واحالتها قبيحة منفرة.

5. أن تكيف دين الله للأنفسنا ولانكيف انفسنا لمنهج الله تعالى فنأخذ من إسلامنا ما يوافق امزجتنا وندع ما لا يوافقنا فجرت علينا سنة الله تعالى كما جرت على الأمم من قبلنا قال الله تعالى (ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة).

فالعداوة والبغضاء ثمرة لذلك الترك الجزئي لمنهج الله وميثاقه.

6. الخلاف حول الفرعيات: ومن سماحة إسلامنا ان في الكثير من احكامه سعة ورحمة ومراعاة لأحوال الناس وتفاوتهم وينبغي أن يراعي في بحث اي مسالة قراءتها في اكثر من كتاب، وان تكون المراجع من الكتب المعتمدة التي خطها سلف الأمة بأيد متوضئة ونفوس معظمة لله تعالى، وعقول جمعت إلى العلم النزاهة والتجرد من الأهواء وينبغي أن يراعى أيضا وضع الفعل في موضعه فلا يجوز رفع السنة إلى درجة الفرض أو الهبوط بالفرض إلى درجة المستحبات مثال الحج، وينبغي أن يراعي ايضا الا نبني محبتنا وبغضنا على اتفاق أواختلاف في الأخذ بأي وجه ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو زكاه سلف الأمة فذاك دليل قصور في العقل وفساد في القلب.

وأما سمات الفرقة الناجية، فإن فرقة الأمة أمر قديم وقد أراد الله تعالى أن يقيم الحجة على عباده بعباد له متجردين في كل زمان ومكان سمتهم:

1. انهم قليل من الناس قال تعالى: (قل هل يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث) وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله) وللحديث: "لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لايضرهم من خالفهم إلى أن يأتي أمر الله".

2. وأن منهجهم فيه الشمول الكامل للدين الذي جاء به محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم فليسوا مجزئين ولا مؤمنين ببعض وكافرين ببعض للحديث: "افترقت اليهود على اثنين وسبعين فرقة وافترقت النصارى على اثنين وسبعين فرقة وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، ما أنا عليه وأصحابي".

3. وإنهم مصلحون فلا يحبسون الخير في أنفسهم، وإنما لهم الغيرة والصبر في تبليغ شرع الله تعالى للحديث: "بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء . قيل ومن الغرباء يارسول الله قال: الذين يصلحوا ما أفسد الناس من بعدي".

4. وإنهم مجاهدون فرجل القول غير رجل الجهاد، فالقول صنعة يتقنها الكاذب كما يتقنها الصادق والمحك هو الجهاد حيث ينفي خبث الصف ويصقل القلوب والعقول حتى تتجرد لخالقها سبحانه، للحديث: "لاتزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة حتى يقاتل آخرهم الدجال".

5. وإنهم مستعلون عن كل منعطف أو ركون يشدهم إلى الأرض عارفون بحديث المصطفى صلى الله عليه وسلم "حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات".

وأما موقفنا من ذلك كله:

1. فعلينا ان نسأ ل الله دائما الثبات والصبر على دينه مرددين قوله تعالى وهو يعلمنا: (ربنا لاتزغ قلوبنا بعد أن هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب)ومرددين دعاء المصطفى صلى الله عليه وسلم: "اللهم لاتجعل مصيبتنا في ديننا".

2. وعلينا أن نكون جامعين لامفرقين لأمة محمد (ﷺ)، ناصحين لا فاضحين دعاة لاقضاة، والذين يتسببون في هذه الفرقة مهما كان دافعهم فإنه لن يخرج عن دائرة الإثم والحساب إلا من رحم ربي وشاء، حيث داء الأنا الذي ورثوه عن الذي قال:

(أناخير منه خلقتني من نار وخلقته من طين)، والجهل بالعدو المشترك، وصدم استكمال جوانب التربية، وقصور الفهم وضيق الأفق، والنظر إلى الأمور من خرب إبرة والأهواء وإعجاب كل ذي رأي برأيه، وانقلاب الموازين وعدم التثبت وسد الفتن، والاعتزاز بغير الله من نسب الأرض والطين والدم واللون والطبقة، وتضخيم جوانب على حساب أخرى من منهج الله، وسوء التقدير بين الأصول والفروع. كلها أسباب ثمرتها المرة هي الفرقة والاختلاف، مهما انتحل لها أصحاب الأهواء من ضرورات واقية واجتهادات كلها فاسدة لاصطدامها بالأصول المنصوص عنها في الكتاب والسنة، ولا اجتهاد في موضع النص فتأمل.

حديث المنابر

الفرقة

إعداد الأستاذ،
المصطفى الموهري

تازة: المعقل التاريخي المتميز

■ د. ربيعة بنويس
-كلية الآداب والعلوم الإنسانية- القنيطرة

تقع مدينة تازة في الشمال الشرقي من المغرب، وكانت لها أهمية تاريخية وعسكرية واقتصادية كبرى منذ عهد الرومان، وفي هذا السياق يقول محمد يحيى المشرفي "أما المناطق الواقعة تحت تصرف الرومان ومراقبتهم فهي التي كانت توجد بين ساحل البحر، وخط مجاور للنواحي الصحراوية يدعى عندهم بالليمس "Limes"، وهو عبارة عن طريق معبدة هالئة أو خندق عميق أو سلسلة قصبات كان يسكنها قدماء المحاربين المكلفين بحفظ الأمن، وكان هذا الليمس يذهب من طرابلس فيعرج على البحيرة التونسية وجبال أوريس ثم يمر جنوب غرب بسكرة... وبعد ذلك يصعد الليمس إلى الشمال فيمر على تازة، وينتهي، أخيرا إلى جنوب الرباط بعدما يعرج على طنجة ووليلة (Volubilis)".

وفي السياق ذاته نجد من يدعي أن البحر كان ممتدا إلى مدينة تازة، وذلك ما أكدته بعض الدراسات الجغرافية والجيولوجية، حيث يذهب محمد يحيى المشرفي إلى أن أصحاب هذه الدراسات يخبروننا "أن شكل البلاد المغربية في أيامنا هذه مخالف لما كانت عليه في الزمن القديم، بمعنى انها كانت متصلة بإسبانيا من الناحية الشمالية، فلا وجود لبوغاز جبل طارق، وكان فيه البحر المحيط، على حد تعبير المؤرخين المذكورين، ممتدا إلى ناحية تازة، بل إلى مصب نهر ملوية، ويعللون هذه الأقوال بأنهم عثروا في تلك النواحي على بقايا حيوانات لاتعيش إلا في البحر".

إلا أن الكتب التاريخية التي اهتمت بهذه المدينة وأخبارها قد فقدت ولم يصلنا منها إلا العناوين، وقد اشار الأستاذ البوخصيبي إلى بعض منها قائلا: "...إن للقدامى من أهل الفكر في هذا الإقليم تآليفهم التاريخية التي لو تم العثور عليها، لانكشف الغطاء عن كثير من الأسرار. وإنني أقصد هنا كتاب "تاريخ كهلان" لـ "ابن لؤلؤ الأوربي"، في أنساب البربر وايامهم في الجاهلية والإسلام، وكتاب "المقتبس في أخبار المغرب وفاس والأندلس" (بفتح اللام)، لأبي عبد الله محمد بن حمادوه البرنوسي، ثم "تاريخ البرنوسي" أيضا في دولة الأدارسة و"تاريخ سليمان بن سابق المطماطي" في أنساب البربر، وكذلك بعض أشعاره، وخصوصا منها ما يتعلق بقتال البربر للروم، إذ هذه كلها زيادة على انها مراجع محلية، فإنها من الأهمية بمكان".

أما مدينة تازة فقد ذاب الدارسون سواء القدماء أو بعض المحدثين منهم على كتابتها بألف طويلة أو الف مقصورة بعد الزاي، وقد ذكر كريخال بأن اسمها تيزا (بكسر التاء) باللغة الإفريقية (أي البربرية)، في حين ذكر المرحوم محمد حجي أن "تازة" تحريف لكلمة تيزي البربرية بمعنى ممر"، وهذا المعنى غير بعيد عن حقيقة تازة التي اعتبرت معبرا أساسيا من المغرب إلى المشرق.

وقد تحدث صاحب الاستبصار عن هذه المدينة قائلا: "إن آخر بلاد المغرب الأوسط وأول بلاد المغرب بلاد تازة، وهي جبال عظيمة حصينة، كثيرة التين والأعناب، وجميع الفواكه..."، كما انها تضم جبالا كثيرة، تسكنها قبائل شتى، أهمها قبيلة غياثة التي استوطنت جبل غياثة الذي يبعد عن المدينة بحوالي خمسة أميال عن المدينة، واشتهر سكانها بالزراعة والحياكة، وقبيلة البرانس نسبة إلى جبل البرانس الواقع على بعد خمسة عشر ميلا شمال تازة، وكانت من أغنى القبائل وأقواها، تميز أهلها بقساوة الطبع، ثم قبيلة بني ورطناج، والذين اشتهروا بقبيلة تسُول، تميز جبلهم بالعلو والصعوبة، وبزراعة القمح والكتان والزيتون والليمون والحامض... وغيرها من القبائل والجبال كجبل بويبلان ومكاصة ومطغرة.

كانت مدينة تازة عاصمة إقليم الحوز الذي يضم، حسب كريخال، المناطق الشمالية الشرقية، وكان من بين سكانه جماعة كبيرة من اليهود الذين اشتغلوا خاصة بصنع الخمر.

الإصلاح يتحقق بالعلم الصحيح والإرادة الثابتة

إعداد الأستاذ: عثمان بن خضراء

■ إن كل عمل إصلاحي كيف ما كان لابد له من أسس يرتكز عليها ليكون مضمون النجاح. ومن جملة الأعمال التي يقوم بها الأفراد والجماعات "الإصلاح" وهو على العموم لايتأتى إلا عن طريقين اثنين ثابتين:

الأول: العلم الصحيح بحيث يتعرف القائمون بشوون الأمة والمصلحون على أداؤها وحاجياتها في مختلف نواحي الحياة، من تربية النفوس على الفضيلة والطهارة والمبادئ الأساسية النقية القويمة التي تعين الفرد على القيام بأوامر الشريعة الطاهرة وتجنب مانهت عنه الآيات البينات المنزلة.

الثاني: الإرادة الثابتة التي تستطيع أن تصبر وتصابر وترابط في ميدان العمل الصحيح لتحقيق الإصلاح المنشود في المطلوب المتوخي. وأهم مظاهر هذه الإرادة: الشجاعة الأدبية التي بدونها لايمكن بأي وجه من الوجوه أن ينتصر حق أو ينهزم باطل.

والشجاعة الأدبية وهي الصراحة ليست أبرز ظاهرة من ظواهر الإرادة القوية فقط، بل هي أكبر دعائم الأخلاق الفاضلة والإيمان السليم، والإسلام الصافي من شوائب الترهات والنقائص التي ألصقها به المغرضون الذين لم يوجدوا إلا للإفساد والتدمير. فمن صح يقينه وصدقت عزيمته وقويت شجاعته بما يناله من مدح وإطراء أو أذي وازدراء.

لاتقعد به الفاقة عن الجهر بالحق والدعوة إليه، ولايبطر به الغنى والجاه والقوة فيحيد عما أوقف نفسه على نصرته حينما كان فقيرا معدما.

وقد قال الفيلسوف أرسطو كلاما يصف فيه الرجل الكريم النفس، وإن شئت فقل: "الرجل الحق" وصفا يصدق اليوم كما صدق منذ نيف وألفي سنة حيث قال: "إن الرجل الحق سيمته الاعتدال والأناة في حالتي السراء والضراء ويعرف ما يزين ومايشين. لايطير فرحا إذا سعد، ولايموت حزنا إذا شقي، لايرهب الخطر ولايجري وراءه، ويتحفظ في كلامه ويتندر في حديثه، وإذا دعي الحال باح برايه غير حاش لومة لائم، يصفح عن الزلات ويتجاوز عن الخطايا ما لم يصل ضررها إلى الجمهور، لايكثر من الكلام عن نفسه، ولا عن غيره لأنه لايعنيه مدح الناس أوذمهم".

ومن مظاهر تلك الإرادة "الجهر بالحق" والدعوة إلي الأخذ به ونصرته لأنه حق، وأنه يعلو ولايعلى عليه وأن كل من يحيد عنه مآله البوار والخسران والاضمحلال. والدين الإسلامي ما انتشر وتوطدت أركانه إلا بعد الجهر بالدعوة إليه كما أمر الله تعالى. وقد جاء مناوؤه بالإنهزام رغم تجمعهم ووضعهم العراقيل في مناهج تقدمه.

ولايقل الإخلاص في العمل عن سابقيه العلم الصحيح والإرادة الثابتة لأنه دعامة كافة الأعمال. فالأستاذ لايفلح في مهنته إذا لم يخلص في الفصل، والعامل في المصنع، والتاجر في المتجر، والموظف في المكتب، والكاتب والصحفي في إنتاجه والعابد في عبادته. إذ الإخلاص في العمل هو مفتاح أبواب النجاح والفوز والسعادة.

ومانهضت أمة ولا استقام لها أمر إلا بالفضيلة والجهر بالحق والذود عن حياضه. ومهما لاقي الفرد أو الجماعة في سبيله من عنت واضطهاد. وما انتصر على رأي ولا مذهب إلا بشجاعة معتقديه وإخلاصهم في القيام بمأموريتهم على الوجه الذي يرضي الحق والواقع والمنطق والضمير.

فأكرم الخلق عند الله تعالى أتقاهم لله سبحانه. وصدق الله العظيم. "إن أكرمكم عند الله أتقاكم"

والله جل جلاله مع المتقين برعايته وعونه وهداه.

وقد كان سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير الضراعة والابتهال إلى الله تعالى ليزينه بمكارم الأخلاق. وكان من دعائه في افتتاح الصلوات:

"اللهم اهدني لأحسن الأخلاق لايهدى لأحسنها إلا أنت واصرف عني سيئها لايصرف عن سيئها إلا أنت"

كان ذلك من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم وهو الذي بعث ليتمم مكارم الأخلاق، وشهد له ربه بمكارم الأخلاق في قوله تعالى ك "وإنك لعلى خلق عظيم" وحسن الخلق هو عطية الله العظمى لعباده المؤمنين".

روي عن أسامة بن شريك قوله: "شهدت الأعاريب يسألون النبي صلى الله عليه وسلم ويقولون : ماخير ما أعطي العبد؟

. قال "حسن الخلق

"وأفضل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا" كما حدث بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلكم أن الله سبحانه يحب معالي الأخلاق ويكره سفاسفها.

وقد كانت امراة تصوم النهار وتقوم الليل، وهي سيئة الخلق تؤذي جيرانها بإساءتها، ولما سئل عنها النبي صلى الله عليه وسلم قال:"لاخير فيها هي في النار"

إن الإسلام يدعو المؤمن إلى الأخذ بمكارم الأخلاق ومحاربة الرذيلة وتحقيق المشاريع النافعة ليصبح المثل الأعلى في إحقاق الحق ومناصرته.

وصدق الله العظيم: "كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله".

"ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم"

"فلولا كان من القرون من قبلكم أو لو بقية ينهون عن الفساد في الأرض إلا قليلا ممن أنجينا منهم، واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين. وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون"

فكانت مهمة رسول الله جميعا أن ينقذوا الناس ويخرجوهم من الظلمات إلى النور، وكانوا دوما دعاة الخير وائمة الإصلاح، وكل منهم يأتي عقب الآخر ليتم مابناه من قبله، فيزيد في الإصلاح لبنة حتى استكمل البناء بخاتم الرسل محمد صلى الله عليه وسلم: "فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيئين".

وقد أراد الله تعالى أن يتم على البشرية نعمته وأن يكمل لها دينها بشفي ماعلق بالأذهان من التحريف والإنحراف عن الدين الحق فارتضي لهم خاتم الرسل محمدا رسولا ورسالة الإسلام آخر الرسالات وجعل هذا الدين الإسلامي كاملا عقيدة وشريعة ظاهرا على الأديان كلها. وأنزل القرآن الكيرم بالحق مصدقا لما سبقه من الكتب المنزلة وشاهدا بصحة تلك الكتب ورقيبا عليها، وحافظا لما فيها من أصول الشرائع ومؤتمنا عليها قال تعالى: "وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لمما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه"

"ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير" صدق الله العظيم.

الدالة

إعداد: احمد باكو

الكلمة مصدر لفعل أدال يديل الرباعي وأصله من الثلاثي دال يدول، الذي يفيد بأوزانه المختلفة عدة معان أصلية وفرعية حقيقية ومجازية، ترجع كلها إلى التغيير والتصريف من حال إلى حال.

وهكذا يقال دال الزمان، دار وانقلب من حال إلى حال، وداول كذا بينهم جعله متداولا تارة لهؤلاء وتارة لهؤلاء، وداول الله الأيام بين الناس ادارها وصرفها، وهو من الآية الكريمة (وتلك الأيام نداولها بين الناس).

التي عبرت علي إحدى سنن الله الكونية المعاينة، وهي تعاقب الأضداد من ليل ونهار وسقم وصحة وهزيمة ونصر، نزلت لتعرية المسلمين حين انهزموا يوم أحد، وفيها أيضا شيء من العتاب والزجر على ضجرهم من مكروه مقدر كان سببه منهم، كما تشير إليه الآية قبلها (إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله)

ومن أوزان المادة، أدال الرباعي الدال على عدة معان حقيقية ومجازية فيقال أدال الشيء جعله متداولا وأدال الله فلانا من أعدائه جعل له الغلبة عليهم، وأدال حاكما من آخر نزع الدولة من الثاني للأول.

"والدولة تطلق على الغلبة من مال أو سلطة، ومعلوم أن هذه الكلمة أصبحت مصطلحا سياسيا واجتماعيا ضخما هو (بتعريف مجمع اللغة العربية بالقاهرة)"مجموع كبير من الافراد، يقطن بصفة دائمة اقليما معينا، ويتمتع بالشخصية المعنوية، ونظام حكومي وبالاستقلال السياسي".

والملاحظ اننا لانكاد نستعمل من مادة (د/و/ل) إلا كلمة الدولة بمعناها المشار رليه دون أوزانها وصيغها الأخرى ومنها (الادالة) التي هي حقا من المفيد المهمل.

فقد كان يجب استعمال هذه الكلمة منذ أن أخذت الأخبار تتحدث عن إطاحة الحكام وخلعهم بالاكراه والقهر. إذ آنئا.

إذا تأملنا هذا المصدر وفعله الرباعي، نجد أنه هو ما كان يجب استعماله للتعبير عن هذه الحال، بدلا من كلمة (الانقلاب) البعيدة بمعناها اللغوي عن المراد، والبعيدة كذلك عن معنى الكلمة العجمية المترجمة منه.

ويكفي في هذا أن نلاحظ أن الانقلاب جاءت بوزن (الانفعال) الدال على المطاوعة وقبول المفعول لما فعل به، والحال أن مانعبر عنه اليوم بما يقع بالقهر والاكراه ويقعقع فيه السلاح وتسيل الدماء وتثور الفتن.

وحتى لو استعمل المترجمون مصدر (القلب) الخالي من المطاوعة أو (التقليب) الذي يضفى عليه التضعيف زيادة في المعنى، لكان في ذلك نقص لايستساغ مع وجود كلمة موضوعة لهذا المعنى بالذات، ومرتبطة اشتقاقيا بالدولة المستهدفة بالقلب.

لذا كانت (الادالة) من المهمل المفيد، الذي يجب الاهتمام باخراجه من بطون المعاجم.

(5) المعجم الوسيط مادة (د/و/ل).

في بيان ما يفسد الدنيا والدين ليحترز منها كل مؤمن أمين

للعلامة أبي عباد

■ اعلم يا أخي أنني لما بينت لك أسباب الدنيا والآخرة فيلزمنا أن نبين لك مايفسد هما معا لتحذره وتتحرز منه ، فاعلم يا أخي أن من أعظم الأسباب المهلكة لأسباب الدنيا وأسباب الآخرة ، هي المنازعة والخصام وأسبابهما كالجدال أو نحوه ، لأنهما يورثان العداوة والبغض والشحناء ، وكل ذلك وبعضه مفسد للدين ومفسد للدنيا ، ولا يخفى فساد ذلك ، فلا نطول ذكره.

***

قال الله العظيم في محكم كتابه الحكيم ، «ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » ، الآية لأن الخير كله في الموافقة والشر كله في المخالفة، حتى قال بعض الحكماء إذا وجدت من يعبد حمارا فعاونهم بالحشيش لقوله تعالى « يأيها الذين «امنوا عليكم انفسكم ، لايضركم من ضل إذا اهتديتم» يعني إذا علمت من الضالين عدم قبول النصيحة ، قلت فإذا علمت أن المنازعة مفسدة للدين والدنيا فاعظم المنازعة التي لا دواء لها هي منازعة الملوك والأمراء لقوله تعالى « يأيها الذين امنوا اطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم».

***

وهذا المعنى هو الذي رأى أبو حنيفة رحمة الله عليه حيث قال المواق في سنن المهتدين، روى أن أبا حنيفة نزعه السلطان من الفتيا، فلازم بيته فسألته بنته عن دم رأته ما حكم الله فيه فقال لها اسألي أخيك، فقالت أردت أن أسمع منك فقال لها: إن السلطان نزعني من الفتيا ، فلا يسوغ لي مخالفة امره، فقالت وأين الأمير؟ ومن يبلغه خبرك؟ فقال ما كنت بالذي يطيعه ظاهرا ويعصيه باطنا.

***

والسر في ذلك أن منازعة الملوك تؤثر في إيقاد نار الفتنة بين المسلمين ، ويكثر فيهم النهب والقتل فيكون إثم ذلك على موقد نار الفتنة ، هذا إن سلم ببدنه وماله ، وما أظنه ينجى.

***

فهذا برهان قولنا في ترجمة هذا الفصل من أن المنازعة سبب لهلاك الدين والدنيا، فهلاك الدنيا بالنهب وقطع الرقاب ، وفساد الدين بمخالفة أمر الله بطاعة الأمراء في الكتاب ، وبالاثم الذي يلزمه بتسببه في الفتنة بين خلق الله تعالى على غير سنة ولا كتاب، فلا خير في منازعة الملوك ومخالفة امرهم.

قال بعض الفضلاء لا تخالف أمر الملوك ، كيف ماكانوا مقسطين عادلين ظالمين أو فاجرين ظالمين.

وبيان القاسط والمقسط قال في حق المقسط قوله تعالى« إن الله يحب المقسطين، فالمقسطين جمع وكل جمع لابد له من مفرد، فمفرد المقسطين مقسط ومفرد القاسطين قاسط، قال تعالى «وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا، فهذا بيان الفرق بين القاسطين والمقسطين ، قلنا فإذا علمت هذا فيجب علينا طاعة الأمراء كيف ما كانوا ، ففي طاعتهم صلاح الدنيا والآخرة.

***

وقد رأيت رجلا في ولاية السلطان مولانا الرشيد رحمه الله تعالى يكثر من الدعاء له ويقول في المحافل والجوامع بالعلانية اللهم طول عمر مولانا الرشيد وانقص من عمري وزد في عمره، وكان يكثر من هذا الدعاء في كل محفل، فقيل له في ذلك فقال هذا مما يرضي الملك ويبسطه ، فإذا رضيت الملوك حسن نظرهم للرعية ويكون لنا ثواب ، ذلك.

***

ومن تسبب فيما يسخطهم فيسيئون النظر للرعية ، ويكون على مسخطهم الإثم ، وأما دعائي هذا فأنا فيه على يقين من أن الله لا يزيده نفسا واحدا في عمره، ولا ينقصني من عمري نفسا واحدا بسبب دعائي ، ولكن هذا مما يثاب عليه في الدنيا والدين ، فكان كذلك ، وهذا وشبهه مقصد حسن ، فترك الخروج على الأمراء والملوك أولى من مخالفتهم وإن كانوا غير مستمعين للحق ، فطاعتهم أولى والصبر على ضررهم انفع في أمور الدنيا وأمور الدين إذ شرهم في المخالفة أعظم

واعلم أنه ان من الله علينا بالأمراء المقسطين ان نستكثر من الحمد ، و الشكر قال تعالى : «لئن شكرتم لأزيدكم» وإن ابتلانا الله سبحانه بالأمراء القاسطون أن نستكثر من الحمد والصبر ، قال تعالى« إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب» وقال تعالى« واصبر وماصبرك إلا بالله » الآية.

***

قال تعالى يأيها الذين «امنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون».

وقال تعالى: «ولنبلوكم بشيء من الخوف والجوع ونقص في الأموال والأنفس والثمرات ، وبشر الصابرين» الآية فصل في المنقول عن أيمة أهل السنة من ذلك.

***

قال أبو عبد الله المواق، في سنن المهتدين ، قال في الاحياء لأبي حامد الغزالي ، رحمة الله عليه.

***

إعلم أن السلطان به قوام الدين فلاينبغي أن يحتقر قد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه سلطان غشوم خير من فتنة تدوم وقال سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، سيكون عليكم أمراء يفسقون وما يصلح الله بهم أكثر مما يفسدونه، فإن أحسنوا فلهم الأجر وعليكم الشكر ، وإن أساءوا فعليهم الوزر وعليكم الصبر.

قال الطرطوشي في سراجه : كل فرض على كل مسلم مقرون بطاعة الله ، اتقوا الله بحقه والسلطان بطاعته ، من اجلال الله اجلال السلطان عادلا كان أو جائرا.

***

قلت ، وهكذا ينبغي للمؤمنين أن يكون ليسلم له دينه ورقبته وعرضه ودنياه ، وقال المواق رحمه الله في الكتاب المذكور : الطاعة تؤلف شمل الدين وتنظم أمر المسلمين وعصيان الأئمة يهدم أركان الطاعة وملاك الدين الطاعة وهي عماد السلامة ، وارفع منازل السعادة الطاعة الطريقة المثلى والعروة الوثقى الطاعة تؤلف شمل المؤمنين وتصلح أمور الدين وتصلح أمور المسلمين واعلم أن قوام الأئمة قوام السنة بطاعة الأئمة فطاعة الأئمة عصمة لمن يخافهم وحرز لمن دخل معهم ، ليس للرعية الاعتراض على الأئمة، قال ابن العربي رحمه الله في سراجه حديث الدين النصيحة أما النصيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فمن أوجه، منها تعظيمه وطاعته والرضى بحكمه ، قال وأما النصح للسلطان فهو نائب رسول الله صلى الله عليه وسلم يجب له ما يجب لرسول الله صلى الله عليه وسلم من التعظيم والحرمة والطاعة ويزيد على النبي (ﷺ) لا لحرمة زائدة لكن لعلة حادثة بأوجه منها الصبر على اذاه ، والدعاء له عند فساده بالصلاح ، وتنبيهه إذا غفل ، قال الطرطوشي في سراجه يعطي ما طلب من الظلم ولا ينازع في ذلك ، قلت فالذخيرة للمعطي والخليفة على الله انتهى.

ثم قال الطرطوشي متصلا بما سبق قبل كلامي ، قال ابو عمر في تمهيده ذهبت طائفة من المعتزلة وعامة الخوارج إلى منازعته في ذلك، قال وأما أهل الحق وهم أهل السنة الأكثر فقالوا الصبر على طاعته أولى وأوجب وأحرى.

***

قال عياض وأحاديث مسلم كلها حجة على ذلك لقوله (ﷺ) أطعمهم وإن أخذوا مالك ، ضربوا ظهرك، وكذا نقل عن مالك والشافعي وأبي حنيفة وأحمد بن حنبل وجماعة أهل العلم إن للرجل أن يقاتل عن نفسه وماله وأهله إذا أريد ظلمهم قال ابن المنذر إلا السلطان ومن لم يمكنه أن يمتنع نفسه وماله إلا بالخروج على السلطان ، فلا يخرج عليه للأخبار التي فيها الأمر بالصبر على مايكون منهم من الجور والظلم وترك قتالهم ، قال أبو محمد وكل من أمكنه نصح السلطان فإنه يجب عليه نصحه له.

قال مالك وذلك إذ رجي أن يسمعه وإلا فهو في ذلك في سعة ، قال أبو عمر وإلا دعى له ، قال لأن السلف كانوا ينهون عن سب الأمراء ، قال سهل بن عبد الله من انكر إمامة السلطان فهو زنديق ومن دعاء السلطان ولم يجبه فهو مبتدع، ومن أتاه من غير دعوة فهو جاهل ومن الذخيرة مانصه.

***

قاعدة ، ضبط المصالح العامة واجب ولا تنضبط إلا بتعظيم الأئمة في نفوس الرعية ، ومهما أهينوا تعذرت المصلحة ، ولذلك لا يتقدم في صلاة الجنازة ولا في غيرها إلا بإذنهم ، وعن ابن يونس من صلى خلف من يشرب المسكر أعاد أبدا إلا أن يكون الخليفة أو صاحب شرطة ، وقد صلى ابن عمر خلف الحجاج الحاكم في المستدرك من حديث عياض بن تميم من كانت عنده نصيحة لسلطان فلا يكلمه بها علانية ، وليأخذ بيده فليخل به. فإن قبلها قبلها وإلا قد كان أدى ما عليه.

وللترميذي من حديث بكره قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهان سلطان الله في الأرض أهانه الله في الأرض ، انتهى.

***

وفي الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كره من أميره شيئا فليصبر عليه فإنه ليس أحد من الناس يخرج عن السلطان شبرا فمات إلا مات ميتة جاهلية ، وسئل سهل بن عبد الله التستري أي الناس خير قال السلطان قيل كنا نرى شر الناس السلطان قال مهلا يابني ان لله تعالى في كل يوم نظرتين نظرة إلى سلامة أموال المسلمين ونظرة إلى سلامة أبكارهم ، فيطلع الله في صحيفة السلطان فيغفر له ، والخشب المعلقة على أبوابهم خير من سبعين واعظ يعظون به الناس.

***

وقيل عدل السلطان ساعة ، تعدل عبادة العابد المخلص أربعين سنة ، ومن سراج ابن العربي وقد روي عن الفضل وابن المبارك كلمة بديعة من الجود وإيثار الأمة على أنفسهم أنهما قالا: لو كانت لنا دعوة مجابة لجعلناها في السلطان لصلاحه، يعنون لما فيها من صلاح العامة واستقامة الأمر وسلامة ذات البين.

***

ومن الطرطوشي عن الفضل لو ظفرت ببيت المال لأخذت من حلاله وصنعت منه أطيب طعام ودعوت الصالحين وأهل الفضل من الأخيار والأبرار فإذا فرغوا قلت لهم تعالوا ندعو ربنا أن يوفق سلطاننا ومن يولي علينا ، وجعل إليه أمرنا ، وعن حذيفة بن اليماني رحمه الله ما ذهب في قوم ليذلوا سلطان الله في أرضه إلا أذلهم الله قبل أن يموتوا.

وفي الصحيح ثلاثة لا يظلهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم منهم رجل بايع سلطانا إن أعطاه من الدنيا أوفى ، وإن لم يعطه لم يف . انتهى .

أعده للنشر ابو بكر

تأملات ومخالص

أصحابي كالنجوم فبأيهم اقتديتم اهتديتم

إعداد الأستاذ " محمد العزوزي

سبب ورود هذا الحديث

ورد أن رجلا حلف لا يعطا زوجته حينا

فأفتاه أبو بكر رضي الله عنه: أن الحين الأبد.

وأفتاه عمر رضي الله عنه : بأنه أربعون سنة.

وأفتاه عثمان رضي الله عنه: بأنه سنة واحدة.

وأفتاه علي رضي الله عنه : بأنه يوم وليلة.

فعرض الرجل ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدعاهم، فقال لأبي بكر ما دليلك على أن الحين الأبد؟

قال: قوله تعالى في حق قوم يونس : «ومتعناهم إلى حين» وقال لعمر ما دليلك على أن الحين أربعون سنة؟

قال: قوله تعالى» هل أتى على الإنسان حين من الدهر) الإنسان آدم بقيت طينته على باب الجنة أربعين عاما.

وقال لعثمان مادليلك على أن الحين عام واحد؟

قال رضي الله عنه: قوله تعالى» توتي أكلها كل حين بإذن ربها، وقال لعلي: ما دليلك على أن الحين ، يوم وليلة؟

قال رضي الله عنه: قوله تعالى» فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون) فقال صلى الله عليه وسلم: « أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم » وأمر الرجل أن يأخذ بقول علي تخفيفا له.

إلا أن سيدي عبد الصمد بن سيدي التهامي بن المدني بن علي كنون وهو والد عالمنا الجليل الراحل سيدي عبد الله كنون، رحمهم الله جميعا.

ذكر في : « النسق الغالي والنفس العالي، شرح نصيحة أبي زيد الهلالي ص : 4342، قال ومذهبنا موافق لما افتى به سيدنا عثمان ، وزاد قائلا: ذكره الشبرخيتي في شرح الأربعين.

نعم هو في الفتوحات الوهبية شرح الأربعين حديثا النووية، ص 235 عند شرحه للحديث الثامن والعشرين الذي رواه أبو نجيم العرياض بن سارية رضي الله عنه، والذي جاء فيه: (...فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجد، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة).

والحديث: « أصحابي كالنجوم) هو في كشف الخلفاء للعجلوني ج1،ص: 132رقم : 381، قال : رواه البيهقي ، وأسنده الديلمي عن ابن عباس ، بلفظ (أصحابي بمنزلة النجوم في السماء بأيهم اقتديتم، اهتديتم،واستدل به كذلك ، الإمام الحافظ أبو عمر يوسف بن عبد البر في كتابه: (التمهيد) ج : 4 ص: 263 ، لخلاف وقع بين ابن عباس ، والمسور بن مخرمة وهما من فقهاء الصحابة ، فلينظر حيث أشير.

أما لفظة :(حين) ففي المختار الصحاح لأبي بكر بن عبد القادر الرازي رحمه الله :(الحين) الوقت ، يقال : حينئذ ، وربما أدخلوا عليها التاء فقالوا : (تحين) بمعنى حين، والحين المدة أيضا، ومنه قوله تعالى:(هل أتى على الإنسان حين من الدهر) سورة الإنسان/الآية1 .

أما في القرآن الكريم ، فقد وردت لفظة حين خمسا وثلاثين مرة ، وهي كما ورد في اللغة ، أحياناتدل على الوقت، وأحيانا تدل على المدة، أي الزمن.

وهي منصوبة لأنها ظرف ، وأحيانا تجر بحرف الجر : إلى حين.

وأحيانا تكون مضافة إلى اسم» ولات حين مناص، أو إلى جملة فعلية:

« وحين تضعون ثيابكم» «حين يرون العذاب» ، وحين تظهرون) . الخ.

أما الآيات التي استدل بها الخلفاء الأربعة رضي الله عنهم أجمعين:

الأولى لأبي بكر رضي الله عنه، قوله تعالى في سورة يونس /الاية98 ،ومتعناهم إلى حين» الثانية لعمر (ض) قوله تعالى» هل أتى على الإنسان حين من الدهر) سورة الإنسان /الاية1 .

والثالثة لعثمان رضي الله عنه ، قوله تعالى» توتي أكلها كل حين بإذن ربها» سورة إبراهيم/ الآية25.

الرابعة لعلي رضي الله عنه ، قوله تعالى ، حين تمسون وحين تصبحون» سورة الروم الآية:17.

ووردت مضافة لإذ مرة واحدة في قوله تعالى » حتى إذا بلغت الحلقوم وأنتم حينئذ تنظرون» سورة الواقعة / الآية 84.

الخاتمة : القرآن العظيم ، السنة النبوية ، اللغة العربية، الكل يخدم بعضه بعضا، وفي الحديث : العلم آية محكمة ، أو سنة قائمة ، أو فريضة عادلة ، وما سوى ذلك فهو فوز.

حصة أوقات الصلاة لشهر محرم الحرام لعام 1426 هـ
حسب التوقيت الإداري لمدينتي الرباط وسلا والنواحي

اليوم	محرم الحرام 1426	الموافق / مارس 2005	الصبح ح ن :	الشروق ح ن :	الظهر ح ن :	العصر ح ن :	المغرب ح ن :	العشاء ح ن :
الخميس	1	10	47:5	14:7	46:12	43:3	10:6	26:7
الجمعة	2	11	46:5	13:7	46:12	44:3	11:6	27:7
السبت	3	12	45:5	12:7	46:12	45:3	12:6	28:7
الأحد	4	13	44:5	11:7	46:12	46:3	13:6	29:7
الاثنين	5	14	43:5	10:7	46:12	46:3	14:6	30:7
الثلاثاء	6	15	42:5	09:7	46:12	47:3	15:6	31:7
الأربعاء	7	16	41:5	08:7	46:12	48:3	16:6	31:7
الخميس	8	17	40:5	07:7	46:12	48:3	17:6	32:7
الجمعة	9	18	39:5	06:7	46:12	49:3	18:6	33:7
السبت	10	19	38:5	05:7	46:12	49:3	19:6	34:7
الأحد	11	20	37:5	04:7	46:12	50:3	19:6	35:7
الاثنين	12	21	36:5	03:7	45:12	51:3	20:6	36:7
الثلاثاء	13	22	35:5	02:7	45:12	51:3	21:6	36:7
الأربعاء	14	23	34:5	00:7	45:12	52:3	22:6	37:7
الخميس	15	24	33:5	59:6	45:12	52:3	23:6	38:7
الجمعة	16	25	32:5	58:6	45:12	53:3	24:6	39:7
السبت	17	26	31:5	57:6	45:12	54:3	25:6	40:7
الأحد	18	27	30:5	56:6	45:12	54:3	26:6	40:7
الاثنين	19	28	29:5	54:6	44:12	55:3	26:6	41:7
الثلاثاء	20	مارس	27:5	53:6	44:12	55:3	27:6	42:7
الأربعاء	21	2	26:5	52:6	44:12	56:3	28:6	43:7
الخميس	22	3	25:5	51:6	44:12	56:3	29:6	44:7
الجمعة	23	4	24:5	49:6	44:12	56:3	30:6	45:7
السبت	24	5	22:5	48:6	43:12	57:3	31:6	45:7
الأحد	25	6	21:5	47:6	43:12	57:3	31:6	46:7
الاثنين	26	7	20:5	46:6	43:12	58:3	32:6	47:7
الثلاثاء	27	8	18:5	44:6	43:12	58:3	33:6	48:7
الأربعاء	28	9	17:5	43:6	42:12	59:3	34:6	49:7
الخميس	29	10	16:5	42:6	42:12	59:3	35:6	49:7
الجمعة	30	11	14:5	40:6	43:12	59:3	35:6	50:7

■ الأستاذ: محمد الخضر الريسوني

اتحاد كتاب المغرب بين الأمس واليوم

انبثقت فكرة تأسيس اتحاد كتاب المغرب من تطوان، بعد أن نظمت " جمعية نبراس الفكر" التي كان يرأسها الأديب المرحوم أحمد بلقات ندوة تناولت فلاسفة الغرب الإسلامي حضرها المرحوم الدكتور عزيز الحبابي ومحمد الصباغ ، ومصطفى القباج ونخبة من الأدباء والأساتذة ، ومن قلب هذه الندوة تبنى الأستاذ عزيز الحبابي الفكرة فاختمرت في الرباط وتبلورت ، وانضم إليها المرحوم سيدي عبد الله كنون والمرحوم علال الفاسي والأستاذ عبد الكريم غلاب ومحمد برادة وعباس الجيراري ونخبة من الأدباء الشباب الذين كانوا في انتظار هذا المولود وجاء من الجزائر مجموعة من الأدباء المشاهير فانضموا إلى الاتحاد، وبذلك أصبح يحمل اسم "إتحاد المغرب العربي " وهكذا بدأت مسيرة الاتحاد بقيادة المرحوم عزيز الحبابي الذي لم يكن يبخل بأفكاره وحكمه وفلسفته وطرائفه في كل اجتماع ولازلت أذكر العشاء الذي أقامه لأعضاء الاتحاد الأستاذ عبد الله إبراهيم رئيس الحكومة آنذاك في فندق المنصور بالدار البيضاء ، فبعد العشاء ، قام الأستاذ عزيز الحبابي بإلقاء كلمة شكر إلى رئيس الحكومة ، فقدقال يجيبه ويخصه بالشكر على ما أبداه من كرم حاتمي إلى أعضاء الا تحاد ، فكان عشاؤهم لذيذا وطعامهم وافرا: شكرا للسيد عبد الله إبراهيم على حفاوته وكرمه ونحن سيدي الرئيس أشبعناكم كلاما وأشبعتمونا طعاما ، وكانت مأدبة أخرى في مدينة فاس بالبطحاء أعدها المجاهد أحمد مكوار ساهم فيها الفنان محمد بوزويع بقصائد الملحون وألقت بالمناسبة الكاتبة الأديبة خناتة بنونة كلمة رقيقة رحبت فيها بأعضاء الاتحاد الناشئ ولا زلت أذكر تقليدا جميلا وطريفا سنه الأستاذ الحبابي كل ظهر أربعاء ،فلقد أصبح مسموحا لكل عضو تناول غذائه من الكسكس في دار الفكر التي تقام عليها اليوم وكالة المغرب للأنباء ، وكأني بالمرحوم العالم الجليل سيدي عبد الله كنون ، وهو يمسك بصحن في يده ليتناول الكسكس وسط خيرة العلماء والأدباء، في ذلك الزمان الجميل.

ثم دار الزمان دورته ، فانعقد المؤتمر الأول للاتحاد، وتم انتخاب عبد الكريم غلاب وعرفت فترته نشاطا أدبيا متميزا وحدث أن فرع الرباط للاتحاد انتخبني للإشراف على نشاطه بمناسبة ليالي رمضان والمكان دار الفكر القديمة " دار الحجوي سابقا" أحيا الليالي فنانون وأجواق رافقني في إعدادها الفنان الرائد عبد النبي الجيراري بمصاحبة سميرة بنسعيد في بدايتها " ثم عرف المؤتمر انتخاب الأستاذ محمد برادة فقضى فترتين ، ثم تبعه على رئاسة الاتحاد محمد اليابوري ، وتلاه محمد الأشعري لفترتين ثم تلاه الأستاذ عبد الرفيع الجوهري ، وتلاه الأستاذ حسن نجمي ثم ينعقد المؤتمر السادس عشر للاتحاد فإذا بكل شيء قد تبدل علي ، وأشكل علي الأمر فأين الوجوه التي عرفتها ، وأين الروح الحميمية التي كانت تربط أعضاء الاتحاد بعضهم ببعض وكأنهم إخوة ؟ وأين رابطة الأخلاق التي كانت هي الصفة البارزة للأعضاء وإلا كيف نسمع عضوا ينادي على رؤوس الملأ في القاعة مقر اجتماعات المؤتمر السادس عشر للاتحاد فيعلن دون حياء ولا خجل : لا حاجة لكم ياقوم بذكر الفاتحة فألغوها ، وقال عضو آخر وهو خارج من القاعة للمحيطين حوله: اعلموا أن إسلامي هو إسلام "سوسيولوجي " وقد اندهشت لهذا العدد الهائل من الكتاب الجدد فتجاوز عددهم أكثر من مائتين مما جعلني أتساءل: ماهي المقاييس التي وفرت لهم العضوية في اتحاد كان يوما شامخا يضم خيرة الأدباء والمبدعين ؟ فهل يكفي أن يصدر أحد الذين حصلوا على العضوية بضع وريقات يقول عنها" ديوان شعر"بعد أن يضع غلافا بالألوان أو يكتب بضع سطور يقول عنها : إنها رواية جديدة؟ إذن ماهي المعايير الموضوعية لانخراط الكتاب الجدد ومنحهم العضوية ، أرجو أن لا أكون مغاليا أو متجانيا على الذين التحقوا في السنوات الأخيرة بأدباء الاتحاد ، هل أبدع هؤلاء في مجالات الشعر والقصة والرواية والمسرح؟ هل أضافوا شيئا جديدا على ما قدمه جيل الرواد ؟ صحيح كلنا نرغب ونأمل أن يكثر عدد أدبائنا ومبدعينا ويلتحق المآت بالاتحاد ، لكن الذي نحرص عليه هو الكيف لا الكم وأن يعود للاتحاد توهجه وتألقه وإشراقه، يشرف أدبنا داخلا وخارجا، ويضع أدباءنا بين أدباء العالم في درجة عالية ورفيعة ترفع من شأن ثقافتنا المغربية .

تأملات في أبرز ملامح المنظور المتجدد للتربية الإسلامية

كلمة ألقيت عند افتتاح يوم دراسي حول: نحو منظور متجدد لمادة التربية الإسلامية

إعداد الأستاذ عبد الله بن الطيبي كديرة

■ يكاد يجمع المهتمون بالتربية والتعليم في البلاد الإسلامية على أنهما يخضعان لتوجيه عام يقصد إلى فصم عراهما تماما عن الإسلام ، وإخضاعهما ، عن تخطيط مدروس ، للرؤية الفكرية الأوربية القائمة على العلمانية والمادية ، والتنكر للدين باعتباره مجرد تراث إنساني مضى عهده وانقضى ، ولم يعد له أثر يذكر في (عقائد المسلمين) ولا (شرائعهم)، ولا (أنماط سلوكهم) ، وإن بقي منه شيء يمكن التساهل في بقائه بعدم الإجهاز عليه ، فإنما هو الجانب (الشعائري) القائم على طقوس أقرب إلى الفلكلور منها إلى العبادات الإسلامية في معانيها ومبانيها الحقيقية.

وبحكم عدم توحد الرؤية الغربية المادية، لأنها لا تخضع لعقيدة واحدة تصوغ لها مذهبيتها وثقافتها ونظريتها، وهذا أمر طبيعي هناك، إذا استثنينا (العقيدة الماركسية) لأنهم (ليبراليون) قد تتعدد لديهم المناهج والثقافات والفلسفات والمذاهب والنظريات ، وقد يؤدي هذا التعدد إلى أنواع مختلفة الدرجات من الصراع ، تحتدم أحيانا وتخمد حينا، وهي في كل أحوالها تتعايش فيما بينها، على نحو من الانحناء، إما في شد وجذب، وإما في حالة كمون وتحفز، والضعيف منها لا يفنى، وإنما يندمج في القوي ليكونا بدورهما نقيضا لهما معا.. وهكذا دواليك.

وهذا التعدد في المناهج الخاضع بدوره للثقافات الغربية المادية المتعددة قد يؤدي إلى عواقب وخيمة.

أ . إلغاء عقل الفرد المسلم والجماعة المسلمة ، وسلب لوعيه الإيجابي ، واستعباد لإدراكه الحر لفائدة تلك المناهج والثقافات.

ب. تحول تربية الفرد والمجتمع المسلمين من عملية تنمية وتطوير شاملين ، إلى عملية تخدير وسلب للشخصية المسلمة ، وتفتيت لوحدتها ، بسبب من تعدد(الخلفيات والواجهات) العقدية والفلسفية (الكامنة والبارزة) وراء كل نظرية تربوية غربية مادية مستوردة بحذافيرها ، أو مستوحى منها ومقتبس ، رغم اختلاف هذا الاقتباس كما وكيفا، بحسب درجة الوعي لدى المستوحي والمقتبس بالرؤية الفكرية الإسلامية الموحدة المتكاملة المترابطة ، ومدى التزامه بهذا الوعي عند القدر على الفعل والتطبيق .

ج. إن الصراع الذي يترتب عن تعدد (المناهج والثقافات والفلسفات والمذاهب والنظريات لابد أن يؤدي حتما إلى مايعبر عنه القرآن " بالشقاق " ، في المجتمع الخاضع لذلك التعدد ، وإن أخشى ما يخشاه المربون المسلمون من عواقب التغريب على تربيتنا هو أن تغدو مجرد سلاح فتوي في أيدي شيع متعادية من المجتمع المسلم ، وهو ما عليه الشأن في أغلب المجتمعات الليبرالية، بل وأكاد أجزم فأقول ، وكان كذلك حتى في المجتمعات التي سادت فيها الأيدلوجية الماركسية ثم بادت بل والحق أن تربيتنا بسبب هذا التغريب . رغم اختلاف درجاته بين مجتمع مسلم وآخر، ستفقد دورها الحقيقي في دعم وحدة المجتمع الإسلامي وتكافله أفرادا وجماعات ويصبح دورها الوحيد المفروض عليها فرضا هو الحفاظ على هيمنة طبقة معينة داخل المجتمع ، أصيلة كانت أم دخيلة ، وتفقد- أيضا- قدرتها على تغيير هذا المجتمع نحو الأحسن والأفضل بل لعلها ستمضي مع الأيام متدهورة نحو الأسوء والأردأ حين تصير محاولاتها مجرد سعي قهري تسلطي لإعادة إنتاج الأوضاع المسببة المرغوب تعديلها أو تغييرها ، ولا خير في تربية لا تغير ، أو على الأقل لا تعدل مجتمعها ولا خير في مجتمع لا ينتظر هذا من تربيته ويخطط له.

د . إن سيادة التوجيه الغربي المادي على توجيهاتنا واختياراتنا التربوية قد يؤدي إلى أن تصبح تربيتنا ، عاجلا أو آجلا ، وبدرجات من التفاوت في الضعف والقوة ، مجرد أداة ترسخ وتدعم الغزو الفكري والحضاري لأمتنا ، مما يؤدي إلى أن تصبح بلاد المسلمين عبارة عن مختبرات لتجريب واختبار النظريات التربوية التي تنتج في الدول الكبرى التي تنتمي إليها فكريا وثقافيا عن وعي وبدونه الشيع والفئات المهتمة بالتربية فتمسي كل دولة مسلمة سوقا ثقافية لترويج المناهج والنظريات التربوية المستوردة من الدول المركزية الغربية التي تعتبر نفسها هي دائرة في فلكها...

هـ. ومن أسوء ما ابتليت به تربيتنا الإسلامية ، وهي أغلب البلدان المسلمة اعتبار أن التربية مرتبطة بالسياسة. بمفهومها المكيافيلي الغربي ، ارتباطا متينا إلى درجة أن أغلب القائمين على التربية في البلاد الإسلامية يخشون خشية كبيرة أن يفلت زمام التربية من أيديهم، مما يؤدي بهم إلى محاولة التدخل السافر والمقنع في وضع أهداف للتربية تنسجم مع غاياتها المذهبية القريبة والبعيدة، وبما أن أغلب أولئك في البلاد الإسلامية مرتبطون بخلفيات ثقافية وتوجيهات فكرية، تفرضها عليهم انتماءاتهم الثقافية والفكرية وظروف أخرى داخلية وخارجية مختلفة ومعقدة، فإننا نجد في برامجهم التربوية كثيرا من المخططات التي تفرض نوعا من الأنظمة التربوية تطابق ما تمليه عليهم توجهاتهم واختياراتهم الإيديولوجية ، ولنا في مدارس البعثات الأجنبية وبعض المدارس ، ولا أعد نفسي مبالغا إن قلت : في الكثير منها ،أوضح الأمثلة، والمربي المسلم الحق هوالذي يختار الموقف الذي يربأ فيه بنفسه عن أن يكون أداة طيعة في يد فئة أو شيعة خارجية ، أو قوة من القوى المتصارعة في مجتمعه لأنه تربى على الوعي والإدراك والعلم بالقرآن وتشبع به وبمبادئه ومواقفه ، منه ينطلق ومن خلال توجيهاته يفكر ، فهو مجاهد بالمعنى الكامل الحق لهذا الإسم ، هدفه خدمة الناس ، كل الناس ، وذلك بتوظيف المعطيات العلمية القرآنية توظيفا إيجابيا ، فهو حين يقرأ ويجرب ويطبق يحرص على أن يستفيد هو أولا من نتائج قراءاته وتجاربه وتطبيقاته على أن يعمم فوائدها في نفس الحين على أولئك الذين سيسأل عنهم أمام الله والناس باعتبارهم معنيين بالأمر ، وإن نتائج أبحاث المربي المسلم حين تبقى متداولة فقط بين فئة معينة من الناس كأفكار أو (معلومات) أكاديمية مقصورة على أهلها وحدهم ولا يتم تطبيقها بكل فعالية وإيجابية ، فهذا نوع من الكنز المحرم أشبه بكنز الذهب والفضة وعدم إنفاقهما في سبيل الله ، وهو أيضا، نوع من كتمان العلم يلجم أصحابه بألجمة من النار ، وهو أيضا غش لله ورسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم ، بل لجميع الناس..

وبهذا التحديد المجمل لدور المربي المسلم يمكننا أن نكون رؤية واضحة جلية شاملة لغاية التربية الإسلامية العامة، وهي أهم ما ينبغي البدء به عند الحديث عن أي تربية كانت ، مسلمة أو غير مسلمة ، والحق أن جميع المربين المسلمين كانوا يهدفون عموما إلى تكوين الفرد والمجتمع المسلمين اللذين يسعيان إلى نيل الحسنيين: القوة والمجد والرفاه في الدنيا والفوز والفلاح في الآخرة واعتبار أي عمل صالح يحقق ذلك السعي بدون غصب أو اعتداء أو تعد لحدود الله التي رسمها في كتابه وبينتها ووضحتها في إسهاب وتفصيل سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم عبادة لله تعالى خالصة هي الغاية من خلقه واستخلافه في هذه الأرض وتسخير ما فيها وعليها له.

ولعلي لا أحتاج إلى التأكيد على أنهم كانوا يستقون هذه الغاية من صميم كتاب الله تعالى ، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأجزم أن من صلب الإسلام الدعوة إلى التبصر في شتى ظواهر الكون ، والاطلاع على حقائق الوجود والإحاطة بكل علم وفن وصناعة لتحقيق هذه الغاية.

حول هذه الغاية التف جميع المربين المسلمين ، وإذا كان بينهم اختلاف . مهما كانت درجته. فإنما هو حول الوسائل المؤدية إليه بأقل ما يمكن من التكلفة والمشقة على المربّي والمربّى ، وبأكبر قدر ممكن من النجاح ، ولعل أهم ما رأيت أن الاختلاف فيه كان واضحا بين المربين المسلمين هو :

سن التعليم : فقد اعتنى المربون المسلمون بسن التعليم ، ولكن لم يتفقوا على سن معينة تحدد بدايته ، بل لعلي لا أكون مبالغا حين أوكد أن غالبيتهم لم يشيروا حتى مجرد الإشارة إلى تحديد البداية ، في حين أن كل من اتفق لي أن درست آراءهم التربوية والتعليمية أهملوا تماما حتى مجرد الإيماء إلى نهاية التعليم ، ولعلهم في هذا يصدرون عن فهمهم العميق للحديث المأثور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد» والحديث صريح، ولا يدع أي مجال للشك في أن طلب العلم غير محدد بسن معينة تعتبر كحد أدنى يبتدئ عنده الطلب ، كما أنه لا يقف عند حد أقصى من العمر يمكن اعتباره كنهاية له، ولعل الزرنوجي يوضح لنا الشروط الأساسية التي يشترطها أغلب المربين المسلمين ، على ضوء الحديث الشريف المذكور، في سن التعليم حين يقول « ليس لصحيح البدن والعقل عذر في طلب العلم مهما كان عمره».

مراحل وطرق التعلم: يمكن إجمال هذه المراحل عند بعضهم فيما يلي : الصمت والاستماع، الحفظ، العقل ، النشر (والترتيب في هذه المراحل ضروري)، وعند بعضهم الآخر تجمل هذه المراحل في : الفهم ، الحفظ ، العمل والنشر ، ونلاحظ هنا أن أصحاب الطريقة الأولى يبدأون بالحفظ ثم الفهم ، في حين أن الفريق الثاني يبدأ بالفهم ثم الحفظ ، والحفظ والعقل والنشر قاسم مشترك بينهم ، والخلاف في الترتيب فقط ومن مزايا طرق التدريس عند المربين المسلمين أنهم اهتموا بالتدرج في التعليم ، وهم في هذا يلتقون مع التربية الحديثة التي تعتبر التدرج من أهم مبادئها ، كما أنهم اهتموا بجعل التعليم طريقة فردية ، داخل جماعة ملتحمة ، أي أن يوجه المعلم اهتمامه إلى كل فرد من مجموعة تلاميذه ، وهم في هذا يلتقون مع مبادئ التربية الحديثة التي تنادي بمراعاة الفروق الفردية في التعليم.

(تابع ص:10)

الزكاة وسيلة من وسائل الإسلام لمعالجة الفقر

إعداد الأستاذ: عبد الغني أفقير

■ اعلن الإسلام الحرب على الفقر وشدد عليه الحصار وقعد له كل مرصد درءا للخطر على العقيدة وعن الاخلاق والسلوك وحفظا للأسرة وصيانة للمجتمع وعملا على استقراره وتماسكه وسيادة روح الإخاء بين أبنائه.

ومن هنا أوجب الإسلام أن يتحقق لكل فرد يعيش في مجتمعه ما يحيا به حياة انسانية لائقة به يتوافر فيها على أقل تقدير حاجات المعيشة الأصيلة من مأكل ومشرب ومسكن وملبس وما يحتاج إليه من أدوات لحرفته وأن يزوج إن كان تائقا للزواج

وعلى العموم يجب أن يتهيأ له مستوى من المعيشة ملائم لحاله يعينه على أداء فرائض الله وعلى القيام بأعباء الحياة ويحميه من أنياب الفاقة والتشرد والضياع والحرمان.

ولا يجوز في نظر الإسلام أن يعيش فرد في مجتمع اسلامي ولو كان من أهل الذمة جائعا أو عاريا أو متشردا محروما من المأوى أو من الزواج وتكوين أسرة.

ولكن ما الذي يحقق للإنسان هذه المعيشة في المجتمع الاسلامي وما هي الوسائل التي اتخذها الاسلام لضمان ذلك؟

إن الاسلام يحقق هذه المعيشة ويكفلها لأبنائه إذ من الوسائل :

امر الإسلام كل قادر ان يعمل ويسعى في طلب الرزق ليكفي نفسه ويغني أسرته ويسهم بالنفقة في سبيل الله. فمن لم يستطع وعجز عن العمل ولم يكن لديه من المال الموروث أو المدخر مايسد به حاجته كان في كفالة اقاربه الموسرين ينهضون به ويقومون بشأنه.

ولكن ليس لكل فقير قريب قادر موسر لينفق عليه فماذا يصنع المسكين الضعيف الذي ليس له أقارب أقوياء يحملونه من ذو عصبته او ذوي رحمه؟

ماذا يصنع المحتاجون العاجزون امثال : الصبي اليتيم والمرأة الأرملة، والأم العجوز ، والشيخ الهرم؟

ماذا يصنع المعتوه والأعمى والمريض وذوي العاهة؟

أيترك كل هؤلاء للفقر القاهر والحاجة القاسية تفترسهم افتراسا والمجتمع ينظر إليهم وفيه الأغنياء الموسرون ولا يقوم لهم عونا؟

إن الإسلام لم ينس هؤلاء ، لقد فرض الله لهم من أموال الأغنياء حقا معلوما وفريضة مقررة ثابتة هي : الزكاة.

فالهدف الأول من الزكاة هو إغناء الفقراء بها.

والفقراء والمساكين هم أول من تصرف لهم الزكاة حتى أن النبي صلى الله عليه وسلم يذكر في بعض المواقف ، كأمره لمعاذ رضي الله عنه وقد بعثه إلى اليمن أن يأخذ من اغنيائهم ويردها في فقرائهم،

ومن معجزات هذا الدين ، ومن الدلائل على انه من عند الله وعلى أن الرسالة الخاتمة الخالدة انه سبق الزمن وتخطى القرون فعني بعلاج مشكلة الفقر ورعاية الفقراء دون ثورة منهم ولا مطالبة من فرد أو من جماعة بحقوقهم، ولم تكن عنايته هذه عناية سطحية أو عارضة، بل كانت من خاصة أسسه وثالث دعائمه ، وأحد أركانه العظام وشعائره الكبرى وعبادته.

وفي حديث ابن عمر (رضي الله عنهما) المتفق عليه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا»

وقد جعل القرآن الزكاة مع التوبة من الشرك وإقامة الصلاة عنوان الدخول في الإسلام.

« فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم» سورة التوبة

وقال سبحانه « فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين» سورة التوبة

فلا يتحقق لكافر الدخول في جماعة المسلمين وتثبت له اخوتهم الدينية التي تجعله فردا منهم ، له مالهم ، وعليه ماعليهم إلا بالتوبة عن الشرك وتوابعه وإقامة الصلاة التي هي الرابطة الدينية الاجتماعية بين المسلمين وإيتاء الزكاة التي هي الرابطة المالية الاجتماعية بينهم.

فالصلاة عمود الدين من أقامها فقد أقام الدين ومن هدمها فقد هدم الدين ، والزكاة قنطرة الاسلام من عبر عليها نجا ومن تجاوزها هلك، قال عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) « امرتم بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ومن لم يزك فلا صلاة له » (تفسير الطبري).

وقال جابر عن زيد « افترضت الصلاة والزكاة جميعا ، لم يفرق بينهما، وقرأ « فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين » سورة التوبة

وأبى أن يقبل الصلاة إلا بالزكاة وقال « رحم الله أبا بكر ما كان افقهه يعني بذلك قوله: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة.

لقد جعل القرآن إيتاء الزكاة من أوصاف المؤمنين والمحسنين والأبرار المتقين وجعل منعها من خصائص المشركين والمنافقين ، فهي محك الإيمان وبرهان الإخلاص كما جاء في الصحيح « الصدقة برهان» وهي فيصل التفرقة بين الإسلام والكفر وبين الإيمان والنفاق وبين التقوى والفجور.

يروي البخاري عن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته ، مثل له يوم القيامة شجاعا اقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه (يعني بشدقيه) ثم يقول أنا مالك انا كنزك ، ثم تلا النبي صلى الله عليه وسلم الآية» ولايحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم ، سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة » سورة آل عمران.

وفي العقوبة الدنيوية يقول عليه الصلاة والسلام» ما منع قوم الزكاة إلا ابتلاهم الله بالسنين » رواه الطبراني في " الأوسط " ورواته ثقات وفي حديث آخر» ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ، ولولا البهائم لم يمطروا (رواه ابن ماجة والبزار والبيهقي واللفظ له) فبغير إيتاء الزكاة لا ينتظم المرء في عقد المؤمنين الذين كتب الله لهم الفلاح "، قد أفلح المؤمنون ..» إلى قوله تعالى: والذين هم للزكاة فاعلون» سورة المؤمنون

وبدون الزكاة لا يدخل في زمرة المحسنين والمهتدين بكتاب الله تعالى : والذين قال فيهم « هدى ورحمة للمحسنين الذين يقيمون الصلاة ويوتون الزكاة » سورة لقمان .

وبدون الزكاة لا يكون من الأبرار الصادقين المتقين قال تعالى " ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيئين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وإقام الصلاة وآتى الزكاة » إلى أن قال» أولئك الذين صدقوا واولائك هم المتقون» سورة البقرة.

وبدون الزكاة لا يفارق المشركين الذين وصفهم القرآن بقوله « وويل للمشركين الذين لا يوتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون» سورة فصلت وبغير الزكاة لايستحق رحمة الله التي أبى، أن يكتبها إلا للمؤمنين المتقين الموتين للزكاة ، قال تعالى» ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويوتون الزكاة والذين هم بآياتنا يومنون» .

وبدون الزكاة لا يستحق ولاية الله ولا رسوله ولا المؤمنين قال تعالى» إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويوتون الزكاة وهم راكعون» سورة المائدة.

وبدون إيتاء الزكاة لا يستحق نصر الله الذي وعد به من نصره « ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة » سورة الحج.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا .

(تتمة ص:9)

وسما اهتم به المربون المسلمون أيضا عدم الخلط بين العلوم في وقت واحد ، حتى لا يتشتت ذهن المتعلم ، لأنهم كانوا منتبهين إلى ما يلعبه تداعي المعاني في تركيز المعلومات وتثبيتها وحسن الاستفادة منها، كما اعتمدوا في تدريسهم على الحوار والمناقشة وكثرة السؤال وشيوع المناظرة ، مع توجيه التلاميذ حسب ميولهم ومواهبهم وقدراتهم.

العقوبة والمثوبة: أجمع المربون المسلمون على إقرار الثواب والعقاب طريقا من طرق التعزير في التربية ، إلا أنهم جعلوا للعقاب شروطا تضيق من حرية المربي في استعماله، ويمكن إجمال طرق العقاب عندهم في المراحل التالية : الإنذار، التوبيخ الانفرادي ، التشهير، الضرب الخفيف غير المبرح وشروط الضرب عندهم:

1. لمن تجاوز العشر سنوات ولم يبلغ الحلم .
2. عند الضرورة مع عدم الإكثار، ولغرض التأديب والرحمة لا قصد الانتقام والتشفي،
3. الضرب بالدرة الرطبة المأمونة في المواضع التي لا يخشى معها مرض ولا غائلة.. وليس على الوجه والرأس .
4. حرمة الضرب لغرض الانتقام ، وعدم القدرة على تقدير القدر الكافي المناسب للذنب ، وكذلك لعدم القدرة على اجتناب الضرر الناتج جسميا ونفسيا.. وقد أجمع العلماء العاملون الأتقياء من السلف والخلف على وجوب اجتناب الضرب إلا للضرورة القصوى.. بل لقد ذهب سلطان العلماء العز بن عبد السلام رحمه الله إلى حرمته فقال « ..واجتناب الضرب إن تأدب بالقول والتهديد ، أو الضرب الذي لا يصلح إلا به إلا أن لا يصلح إلا بالضرب الشديد، فيجتنب الخفيف والشديد، ويقول رحمه الله أيضا « .. فإن لم ينجع فيه الزجر ضرب ضربا يحتمله مثله ، وتغلب منه السلامة ، وإن لم ينزجر إلا بالضرب المبرح حرم المبرح لأدائه إلى قتله ، ولم يجز غير المبرح لأنه إنما جاز وسيلة إلى الإصلاح، فإن لم يحصل الإصلاح حرم لأنه إضرار غير مفيد...» ويقول أيضا « .. فهل يجوز ضربه تحصيلا لمصلحة تأديبه؟ قلنا: لا يجوز ، بل يجوز أن يضربه ضربا غير مبرح، لأن الضرب غير المبرح مفسدة، وإنما جاز لكونه وسيلة إلى مصلحة التأديب ، فإن لم يحصل التأديب سقط الضرب الخفيف كما يسقط الضرب الشديد، لأن الوسائل تسقط بسقوط المقاصد». وأتساءل الآن معكم: وماذا عن أنواع العقاب الأخرى غير الضرب؟ للجواب عن هذا السؤال أحيلكم على ما قرره الفقيه المربي ابن الحاج رحمه الله في كتابه الفريد القيم" المدخل" وخصوصا في جزئه الرابع في فصل» تربية الأولاد ومشيهم على قانون الشريعة وترك ما عداها وحسن السياسة في ذلك ، فقد أجاد في الموضوع وأفاد ، وشفى وكفى...

مواد المنهاج الدراسي: هناك مبادئ أساسية تتحكم في اختيار مواد المنهاج الدراسي ، وفي طريقة وضعه وتخطيطه شكلا ومضمونا عند المربين المسلمين ، نجملها فيما يلي:

1. قيمة المادة من الوجهة الدينية التي هي عند المسلمين عصمة كل أمر.
2. قيمة المادة من حيث أثرها التدريبي وإكساب المهارات وتهذيب الوجدان.
3. قيمتها من حيث توسيع الثقافة وتعميق المعارف..
4. قيمتها النفعية المهنية.
5. قيمتها كوسيلة للتدرج بالإنسان المسلم إلى اكتساب علوم أعظم شأنا.

ومن مميزات المواد التي يشملها المنهاج التعليمي عند المربين المسلمين ، الاتجاه التجريبي ، إلى جانب الطابع الإنساني الفكري العام ، وذلك ضمن الإيمان الراسخ " بالغيب" وما يستوجبه من عمل صالح يرضي الله ، وينفع عامة المسلمين وخاصتهم ، بل ينفع الإنسانية كلها على الدوام في مشارق أرض الله الطيبة ومغاربها..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

العلقة الثالثة

تحقيق الكلام في قراءة الإدغام

للعلامة سيدي عبد الرحمن بن القاضي

■ ومنها تسعة تسعة في سورتين ففي الانعام: ويعلم ما، ومن أظلم ممن، ويعلم ما في البر، ويعلم ما جرحتم، إبراهيم ملكوت. أظلم ممن، أعلم ممن. أظلم من، وفي الأعراف: جهنم منكم. أظلم ممن، جهنم مهاد، النجوم مسخرات، واعلم من الله، تنقم منا، قوم موسى، ومن قوم موسى ، ءادم من ظهورهم، ومنها ثلاثة عشر في البقرة: أعلم مالا، وأعلم ما، ءادم من ربه، يعلم ما، العظيم ماننسخ، أظلم ممن ، العلم مالك. إبراهيم مصلى، أظلم ممن لنعلم من، طعام مسكين ، يعلم ما، في علم ما بين.

❖❖❖❖❖❖

وأما المتقاربان فسكتها مخافة عند الباء، وجملته تسعة وسبعون موضعا منها: في البقرة: يحكم بينهم، وليحكم بين الناس ، وفي العمران ليحكم بينهم ، اعلم بما، وضعت، فاحكم بينكم،أعلم بما يكتمون، وفي النساء أعلم بإيمانكم ، اعلم بأعدائكم.

ليحكم بين الناس فالله يحكم بينكم، مريم بهتانا، وفي المائدة:ءادم بالحق، يحكم بها،اعلم بما كانوا، يحكم به، وفي الانعام: أعلم بالشكرين، أعلم بالظالمين ، اعلم بالمهتدين ، اعلم بالمعتدين ، وفي يونس: اعلم بالمفسدين ، وفي هود: اعلم بما في انفسهم ، وفي يوسف: اعلم بما يصنعون، وفي الرعد: أو كلم به، وفي النحل: اعلم بما، ليحكم بينهم، اعلم بمن، اعلم بالمعتدين، وفي الاسراء ، اعلم بما في علم بما يستمعون، اعلم بكم، أعلم بمن هو.

❖❖❖❖❖❖

وفي الكهف اعلم بما لبثتم، أعلم بهم، اعلم بعدتهم، اعلم بما لبثوا، جهنم بما كفروا، وفي مريم: اعلم بالذين، وفي طه : اعلم بما يقولون ، وفي الحج : يحكم بينهم ، أعلم بما تعملون، يحكم بينكم، وفي المؤمنين اعلم بما يصفون ، وفي النور: نتكلم بهذا ليحكم بينهم معا، وفي الشعراء:اعلم بما تعملون ، وفي القصص:اعلم بمن ، اعلم بالمهتدين، وفي العنكبوت: فاعلم بما في ، اعلم بمن فيها، وفي الروم: فهو يتكلم بما، وفي الزمر: يحكم بينهم ، يحكم بين، اعلم بما يفعلون وفي غافر:يعلم بين وفي الأحقاف اعلم بما يفيضون، وفي "ق" اعلم بما يقولون ، وفي النجم : اعلم بمن ضل، اعلم بمن اهتدى اعلم بكم ، اعلم بمن اتقى وفي المزن: اقسم بموقع، وفي الممتحنة: اعلم اخفيتم، اعلم بايمنهن يحكم بينهم، وفي "ن": اعلم بمن ضل ، اعلم بالمهتدين ، وفي الحاقة أقسم بما تبصرون وفي المعارج: اقسم برب وفي القيمة : اقسم بيوم اقسم بالنفس ، وفي التكوير اقسم بالخناس، وفي الانشقاق اقسم بالشفق بما اعلم بما يوعون وفي البلد اقم بهذا وفي العلق : علم بالقلم.

❖❖❖❖❖❖

النون يدغمها في مثلها مطلقا ، وجملته سبعون موضعا منها حرف حرف في إحدى وعشرين سورة ، ففي العقود يقولون نخشى ، وفي الانفال الفئتان نكص، وفي ابرهيم ويستحيون نساءكم ، وفي الإسراء : نحن نرزقهم، وفي طه: نحن نرزقك وفي الأنبياء لايستطيعون نصر وفي الحج كان نكري، وفي الفلاح: بين نسارع ، وفي الشعراء: رب العالمين فنزل وفي القصاص: المبين، نتلوا وفي السجدة : إذ المجرمون ناكسوا، وفي سبأ: كان نكير ، وفي فاطر: كان نكير ، وفي الزخرف: الرحمن نقيض، وفي "ق" انا نحن نحيي ، وفي القمر : يقولون نحن،وفي الرحمن : عينن نضاختان ، وفي المجادلة: إلى الذين نهوا، وفي الصف: الحواريون نحن، وفي الملك : كان نكير، وفي الانسان: إنا نحن نزلنا، ومنها حرفان حرفان في تسع سور، ففي العمران الحواريون نحن، وليعلم الذين نافقوا، وفي الانعام الانثيين نبئوني، نحن نرزقكم، وفي يوسف :تعقلون نحن نقص، وفي النمل: لما لا يعلمون نصيبا، يعرفون نعمة الله، وفي النور : لا يجدون نكاحا لا يرجون نكاحا ، وفي الفرقان للعالمين نذيرا، لا يرجون نشورا، وفي "يس": إنا نحن نحيي، لا يستطيعون نصرهم ، وفي "ص": تسعون نعجة، سليمان نعم العبد ، وفي الحشر: إلى الذين نافقوا، كالذين نسوا الله.

ومنها ثلاثة في ستة سور ففي البقرة، ونحن نسبح ويستحيون نساءكم ، المتطهرين نساءكم ، وفي الحج :انا نحن نزلنا ، لنحن نحي، بمخرجين نبيء ، وفي الكهف: نحن نقص، الظالمين نارا، للكافرين نزلا، وفي مريم نحن نرث ، هارون نبينا، أحسن نديا، وفي فصلت: توعدون نحن ، تدعون نزلا، من الشيطن نزغ، وفي المزن: يوم الدين نحن ، الخالقون نحن المنشئون نحن، ومنها أربعة في التوبة المشركين نجس، نحن نتربص، نحن نعلمهم، ولا ينفقون نفقة، ومنها خمسة خمسة: في سورتين ففي النساء: تخافون نشوزهن، ولا يظلمون نقيرا، الكفرين نصيب، ويقولون نومن، وفي الأعراف الذين نسوه. وأما أن تكون نحن، ويستحيون نساءكم ، لايستطيعون نصرهم من الشيطان نزغ.

❖❖❖❖❖❖

وأما المتقاربان ، قراء واللام، فأدغمها في الراء إذا تحرك ما قبلها وجملتها خمسة منها تأذن ربه في الأعراف إذ تأذن ربكم، بإبراهيم خزائن رحمة ربي ، بالإسراء وص: وخزائن ربك، بالطور، ويدغمها في اللام فإن سكن ما قبلها ثم يدغم إلا لفظة نحن وجملتها عشرة منها: نحن له في أربعة مواضع من البقرة ، وموضع موضع في العمران والمومنون ونحن لك في الاعراف وهود، ونحن لك بيونس فإن تحرك ما قبلها يدغمها، وجملته أحد وستون منها في البقرة لن نومن لك، تبين لهم، يتبين لكم، زين للذين، تبين له، وفي العمران: زين للناس، نومن لرسول ، وفي النساء لنبين لكم ، تبين له ، وفي المائدة يبين لكم معا، نبين لهم، وفي الأنعام: وزين لهم، وزين للكافرين، زين لكثير، وفي الأعراف . أن ءاذن لكم ، وفي الأنفال : زين لهم، وفي التوبة: زين لهم،يتبن لك ،ويومن للمومنين، ليوذن لهم، لن نومن لكم ، ماتبين لهم، يتبين لهم، يتبين له، بين لهم، وفي يونس: زين للمسرفين اذن لكم، أو لمن لموسى، وفي يوسف: ياذن لي، وفي الرعد: زين للذين، وفي إبراهيم ليبين لهم ، وتبين لكم ، وفي النحل: ليبين لهم، لتبين للناس فزين لهم، لتبين لهم ، لايوذن للذين ، وفي الإسراء، نومن لرقيك، و في طه: أن ءاذن لكم، اذن له، وفي الحج: ليبين لكم، اذن للذين ، وفي المؤمنين أنومن لبشرين ، وفي النور: يوذن لكم، وفي الشعراء: أن ءاذن لكم ، أنومن لك ، وفي النمل: وزين لهم، وفي القصص: ونمكن لهم ، وفي العنكبوت: فإن له تبين لكم ، وزين لهم ، وفي الأحزاب : يوذن لكم ، وفي سبأ اذن له، وفي فاطر زين له ، وفي غافر زين لفرعون ، وفي فصلت يتبين لهم ، وفي الزخرف ولا يومن لكم ، وفي القتال زين لهم، تبين لهم معا ، وفي المرسلات يوذن لهم ، وفي النبأ اذن له.

❖❖❖❖❖❖

الضاد ويدغم في التقارب في موضع واحد وهو لبعض شأنهم في النور ، العين يدغمها في مثلها إلا إذا نونت وجملته ثمانية عشر موضعا منها في البقرة: يشفع عنده ، وفي العمران: لا أضيع عمل ، وفي المائدة: تطلع على، وفي الأعراف ينزع عنهما ، وقع عليكم ، ونطبع على، وقع عليكم ، وفي التوبة ، وطبع على وفي يونس نطبع على، وفي الكهف : تطلع على ، وفي طه: ولتصنع على، وفي الحج: يرفع عن، تشع على ، وفي سبأ فزع عن ، وفي المنافقون فطبع على، وفي القيمة نجمع عظامه وفي الهمزة تطلع على الأفئدة.

(يتبع)

ميثاق
الرابطة
صحيفة أسبوعية جامعة
العدد 1106
السنة39
الجمعة 30 محرم 1426 هـ
الموافق 11 مارس 2005 م

المدير المسؤول:
الأمين العام بالنيابة
الشيخ ماء العينين
لارباس

مدير النشر:
إدريس كرم

رئيس التحرير:
محمد الخضر الريسوني

التحرير:
محمد القاضي
مصطفى ودادي

الثمن:3 دراهم

الاشتراكات السنوية
داخل المغرب: مائة وخمسون درهما
رقم الإيداع القانوني: 1994/160
الترقيم الدولي:ISSN: 4348

عنوان البريد الالكتروني:
rabitat @iam.net-ma
موقع الانترنيت
www.rabitat. ma

الحساب البنكي:25201015549.01
وكالة بنك الوفاء-حي أكدال -
الرباط

التصفيف والإخراج الفني:
ميثاق الرابطة
العنوان:107- شارع قال ولد عمير،
رقم 7- أكدال - الرباط
الهاتف: 51 03 67 037
الفاكس: 93 45 67 037
السحب:
مطبعة نداكوم - الرباط- المغرب

ترتيب المواد لا يخضع إلا
للمقتضيات الصحافية والتقنية

ميثاق الرابطة

العدد: 1106 الجمعة 30 محرم 1426 هـ . الموافق 11 مارس 2005م

الفرق بين القرآن والقراءة والرواية والطريق والوجه

إعداد العلامة محمد بن عمر بازمول

الحلقة الاولى

المطلب الأول: هل يوجد فرق بين القرآن والقراءة؟

البحث في هذه المسألة والبت فيها ينبني على بيان أقسام القراءات ومايترتب عليه من تقرير قرآنية كل قسم من عدمها وهذا سيأتي، إن شاء الله تعالى، في موضعه من الدراسة، لذلك سأكتفي هنا بعرض وجهات نظر العلماء رحمهم الله في الموضوع مؤجلا البت فيه حتى يأتي الكلام عن أقسام القراءات، إن شاء الله تعالى.

للعلماء، رحمهم الله، في هذه المسألة قولان مشهوران:

القول الأول: التفرقة بين القراءة وبين القرآن وهذا مذهب مكي بن أبي طالب القيسي (ت 437هـ) والزركشي (ت 794هـ) على خلاف بينهما في وجه الافتراق سيأتي ذكره، إن شاء الله..

القول الثاني: عدم التفريق بين القراءة والقرآن.

أما أصحاب القول الأول، فقد اختلفت وجهتهم في الفرق بين القرآن وبين القراءة، كما يلي:

1. ذهب مكي بن أبي طالب القيسي (ت437هـ)إلى التفرقة بين القرآن والقراءة على أساس الشروط التالية:

1. النقل عن الثقات إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

2. شيوعه في العربية.

3. موافقته لرسم المصحف.

فما توفرت فيه هذه الشروط فهو قراءة يقرأ بها (يعني: هي قرآن)، وما اختل فيه شرط منها فهو قراءة ولايقرأ بها.

ونقل هذا عن أبي عمرو الداني (ت444هـ)وذكره السخاوي (ت643هـ) في "جمال القراء" وقال: "وهو المختار عند أكثرهم" اهـ وصرح بموافقة مكي أبو شامة في "المرشد الوجيز" وابن الجزري في "النشر في القراءات العشر".

ب. ذهب الزركشي (ت 794هـ) إلى التفريق بين القرآن والقراءة بوجه آخر غير ماذهب إليه مكي، فقال: "اعلم أن القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان فالقرآن هو الوحي المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم للبيان والاعجاز والقراءات هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتبه.. الحروف او كيفيتها من تخفيف وتثقيل وغيرهما"اهـ.

ونقل السيوطي (ت911هـ)كلام الزركشي ولم يتعقبه وقرره القسطلاني (ت923هـ) ولم ينسبه لأحد وكذا الدمياطي (ت1117هـ).

قلت : ويلاحظ على تفريق الزركشي أنه إنما ذكر الفرق بين القرآن والقراءة الصحيحة التي ثبت كونها وحي فقط، فكلامه لايظهر منه الفرق بين القرآن والقراءة الأحادية التي لم تشتهر، وكذا القراءة الشاذة، وعلى خلاف ذلك تفريق مكي بن أبي طالب، فإنه يعطي الفرق بين القرآن وبين القراءة على الاطلاق، سواء كانت قراءة متواترة أم آحادية أم شاذة.

أما أصحاب القول الثاني: الذين لم يفرقوا بين القرآن والقراءة فكل قراءة عندهم قرآن، فهذا القول لا أعلم قائلا به، غير أن ابن الجزري (ت833هـ) نقل كلاما لابن دقيق العيد نقله عنه أبو حيان الأندلسي (ت 754هـ)وقد صرح فيه بهذا الراي.

قال أبو حيان الأندلسي (ت754هـ): "وعلى ماذكره هؤلاء من المتاخرين من تحريم القراءة الشاذة، يكون عالم من الصحابة والناس من بعدهم إلى زماننا قد ارتكبوا محرما، فيسقط بذلك الاحتجاج بخبر من يرتكب المحرم دائما، وهم نقلة الشريعة فيسقط مانقلوه فيفسد على هؤلاء نظام الإسلام. والعياذ بالله تعالى من ذلك...

قال: وقد كان قاضي القضاة أبو الفتح محمد بن علي (يعني: ابن دقيق العيد) يستشكل هذه المسألة ويستصعب الكلام فيها.

وكان يقول: هذه الشواذ نقلت نقل آحاد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيعلم ضرورة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ بشاذ منها وإن لم يعين كما أن حاتما نقلت عنه أخبار في الجود كلها آحاد ولكن حصل من مجموعها الحكم بسخائه وإن لم يتعين ماتسخى به وإذا كان كذلك فقد تواترت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشاذ، وإن لم يتعين بالشخص فكيف يسمى شاذا والشاذ لايكون متواترا"اهـ.

قلت: الظاهر من هذا النقل أن ابن دقيق العيد رحمه الله تعالى لم يقل بهذا القول تقريرا إنما قاله بحثا.

ويعقب عليه بما يلي:

1. نحن نقطع أن كثيرا من الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يقرؤون بما يخالف رسمه رسم مصحف عثمان بن عفان رضي الله عنه الذي جمع عليه الناس وأمر أن تكون القراءة العامة عليه.

وذلك لأن جمع عثمان رضي الله عنه للناس على المصحف الذي نسخه من مصحف حفصة رضي الله عنها مكتفيا فيه بما كان من القراءات موافقا للسان قريش، هذا الجمع لم يكن الغرض منه ولا من نتائجه إلغاء القراءات الشفوية التي يقرأ بها الصحابة إذ بوضع الأمور على هذا النحو في نصابها ترك رضي الله عنه الباب مفتوحا لكل من كان يؤكد أنه سمع الرسول صلى الله عليه وسلم يقرأ بقراءة معينة لكي يقرأ بقراءته الخاصة بحرية تامة وتحت كامل مسؤوليته ومن غير أن يلزم جماعة المسلمين كلها بما يؤكد سماعه.

2. فنحن نتفق مع ابن دقيق العيد رحمه الله على القطع بأن من هذه القراءات (التي اصطلح علماء القراءات على تسميتها: شاذة) ماقراه الرسول صلى الله عليه وسلم ولكن لانستطيع القطع في أفراد هذه القراءات بأن الرسول صلى الله عليه وسلم قرأها، لأن الصحابة رضي الله عنهم في زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه لم يجمعوا عليها فنحن نتوقف فيها ولانقطع بقرآنية هذه الأفراد على العموم، إذ لا توافق الرسم، كما أننا لانلفيها تماما، بل نستفيد منها في التفسير واللغة.

الحاصل: أنه لايلزم من تواتر قراءة الرسول صلى الله عليه وسلم بهذه الأفراد مع عدم التعيين لشخصه، لا يلزم من ذلك تواتر أفراده، وهذه المسألة تشبه ما يبحث في مصطلح الحديث ويسمى التواتر المعنوي، حيث لايتواتر لفظ إنما يتواتر معنى كأحاديث الشفاعة وأحاديث الحوض ونحو ذلك.

3. فمع قطعنا بتواتر قراءة الرسول صلى الله عليه وسلم بما يخالف رسم المصحف مع عدم تعيين شخصه، فإننا نقطع بعدم تواتر هذه الأفراد ولا نعاملها معاملة القرآن والله أعلم.

4. قال ابن الجزري (ت833هـ):"والذي وصل إلينا اليوم متواترا وصحيحا مقطوعا به قراءات الأئمة العشرة ورواتهم المشهورين، هذا الذي تحرر من أقوال العلماء وعليه الناس اليوم بالشام والعراق ومصر والحجاز... فثبت من ذلك أن القراءة الشاذة ولو كانت صحيحة في نفس الأمر، فإنها مما كان أذن في قراءته، ولم يتحقق إنزاله وأن الناس كانوا مخيرين فيها في الصدر الأول ثم أجمعت الأمة على تركها للمصلحة وليس في ذلك خطر ولا اشكال لأن الأمة معصومة من أن تجتمع على خطأ"اهـ.

5. فنحن لا نقطع بأن هذه القراءات الشاذة بأعيانها وأفرادها ليست قرآنا كما لانقطع بأنها قرآن وهذا القول ينبني على أصل وهو هل يجب القطع فيما لم يثبت كونه من الأحرف السبعة بأنه ليس منها؟.

الذي عليه جمهور العلماء أنه لايجب القطع بذلك، إذ ليس ذلك مما وجب علينا أن يكون العلم به في النفي والاثبات قطعيا.

وذهب فريق من أهل الكلام إلى وجوب القطع بنفيه كالقاضي أبي بكر الباقلاني لزعمهم أن ما كان من موارد الاجتهاد في القرآن الكريم فإنه يجب القطع فيه.

قال ابن تيمية معقبا على مذهب هذا الفريق من أهل الكلام: "والصواب القطع بخطأ هؤلاء"اهـ.

قال ابن الجزري مشيرا إلى قول جمهور العلماء: "وهذا هو الصحيح عندنا وإليه أشار مكي بقوله: "ولبئس ماصنع إذ جحده (يعني: القراءة التي صح سندها وخالفت رسم المصحف)"اهـ.

وسواء قيل بالقطع في النفي أم الإثبات، فذلك لا يمنع كونها من موارد الاجتهاد التي لاتكفير ولاتفسيق فيها للنافي ولا للمثبت.

وبهذا يزول الإشكال الذي أورده ابن دقيق العيد رحمه الله بحثا ولله الحمد والمنة.